الجبل ومرادفاته من الأسماء والصفات في القرآن الكريم

دراسة في ضوء نظرية السياق

أ.م. د. محمد قاسم سعيد

جامعة ديالى / كلية التربية الأساسيَّة

Basica14te@uodiyala.edu.iq

المقدمة:

اللغة هي أداة التواصل بين الناس، ووسيلة التعبير الأبرز عن الحاجات النفسية والفكرية، ولَمّا كانت المعاني أوسع من اللغة شاعَ في اللغات جميعها استعمالُ اللفظِ الواحد للتعبير عن أكثر من معنى، فتعدَّدت بذلك دلالات اللفظ الواحد، الأمر الّذي قد يؤدّي إلى الغموض أو الالتباس، فيتردّد المُخاطَبُ في تحديد المعنى الّذي عناه المُتكلّم، ولاسيما إذا كان المُتكلّمُ دقيقًا في انتقاء ألفاظه، عارفًا بالفروق الدقيقة بين الألفاظ المُترادفة الّتي تُشيرُ إلى معنىً واحد، فعلى المُخاطَبِ –حينها– أنْ يكونَ واعيًا بدقائق الأمور، عارفًا بأساليب الكلام وطرقه، وأنْ يستعين بالوسائل اللغويّة وغير اللغوية لمعرفة المقاصد واكتشاف الدلالة.ويُعَدُّ السياقُ بشقيه: اللغوي والحالي من القرائن الكاشفة للمعاني، والمُحَدِّدَة للدلالة؛ فالسياقُ يحصرُ المعاني المُحتمَلة، ويُحَدِّد الدلالة المقصودة، ومِن ثمَّ فهو ضابطٌ للتأويل، ولاسيما في بعض الظواهر اللغوية، ومنها الألفاظ المُترادفة الّتي هي مَحلّ البحث. فالترادفُ في الألفاظ لا يعني المُطابقة التامة بين المعاني، بل ثَمَّةَ فروقٍ جزئيةٍ بينها وإنْ كانت تشتركُ في الأصل؛ لأنَّ الكثير مِن الألفاظ المُترادفة إنّما هي نتيجةٌ للتطور الدلالي الّذي تكسبه الألفاظ مع مرور الزمن، كتطور صفة الشيء إلى اسمٍ له، أو تحوّل اللفظ مِن المجاز إلى الحقيقةِ بعد شيوعه وارتباطه بما أُطلِقَ عليه، وهكذا، وهذا التطور وإنْ كان يسمح بتعدّد إطلاق الألفاظ المُتعدِّدَة على المعنى الواحد إلّا أنَّه لا ينفي وجود الاختلاف بينها، حتى وإنْ كان يسيرًا، إلّا أنَّ دلالته تبقى مُغايرةً لرديفه، ولاسيما إذا كان المُتكلّمُ بليغًا عارفًا بأسرار اللغةِ ودقائقِها، وبالخصوصِ إذا كان المُتكلِّمُ هو الله سبحانه وتعالى، فعلى المُستمعِ حينها بذل جهودٍ مُضاعفةٍ لاكتشافِ دلالات النص القرآني المُعجِز، ومِن هُنا وقع الاختيار على دراسة مثل هذه الظاهرة في القرآن الكريم، مُمَثِّلَةً بالألفاظ الّتي تُحيلُ إلى (الجبل)، سواء كانت مِن صفاتِه أو أسمائِه المُترادفة.وقد اقتضى البحث أنْ يُقَسَّمَ على مَبحثَين اثنَين، خُصِّصَ الأولُ مِنهما للحديث عن النظرية السياقية عند المُحدَثين الغربيين والعرب القدامى، فكان عنوانه (النظرية السياقية بين القديم والحديث)، وقد تناولَ آراءَ أعلامِ النظرية في الدرس اللغوي الغربي الحديث، وأصولها في التراث العربي عند المُفَسّرين والأصوليين واللغويين والبلاغيين.أمّا المبحثُ الآخَر فقد توزّع على مِحوَرَين اثنَين، اعتنى المحورُ الأولُ بتعريف الألفاظ الدالة على (الجبل) في القرآن الكريم، وخُصِّصَ المحورُ الآخَر للتحليل السياقي لتلك الألفاظ، فدرسَها في خمسةِ سياقات، هي: السياق الدال على ماهيّة الجبال وصفاتها ورمزيتها، والسياق الدال على وظائف الجبال وأوضاعها وأحوالها، والسياق الدال على فوائد الجبالِ ومنافعها للإنسان والمخلوقات، والجبالُ في سياقِ القَصَصِ القرآني، والسياق الدال على مَصير الجبالِ ونهايتِها.وانتهى البحثُ بخاتمةٍ موجَزة، لملمَت شتات البحث، وسجَّلَت أهمَّ النتائجِ الّتي توصَّل إليها.والحمدُ لله رَبِّ العالَمين

المبحث الأول: النظرية السياقية بين القديم والحديث

أنَّ النظرية السياقية وإنْ كانت من مُخرجات الدرس اللغوي الغربي الحديث، إلّا أنَّ لها جذورًا في تراثنا العربي القديم، وهذا ما سنوضحه في هذا المبحث، مع بيان تعريف (السياق) في اللغة والاصطلاح.

السياق لغةً:

جاء في جمهرة اللغة: "السَّوْقُ: مصدرُ سُقْتُ البَعيرَ وغيرَهُ أسُوقُهُ سَوْقًا"[١]، وجاء في مقاييس اللّغة: "السّينُ والواوُ والقافُ أصلٌ واحدٌ، وهو حَدْوُ الشَّيءِ، يُقال ساقَهُ يَسوقُهُ سَوْقًا... ويُقالُ سُقْتُ إلى امرَأَتِي صَداقَها وَأَسَقْتُه"[٢]، وقال الزمخشري في أساس البلاغة: ساقَ النِّعَمَ فَانساقَتْ ... وَهُمْ مِنَ السَّوَقَةِ وَالسُّوقُ: وَهُمُ الأَشخاصُ غير الأُمَراءِ والملوك ... ومِنَ المَجازِ ساقَ اللهُ إلَيهِ خَيرًا... وَتَساوَقَتِ الإبِلُ: تَتابَعَتْ. وهو يَسوقُ الحديثَ أحسَنَ سِياقٍ، وإلَيكَ يُساقُ الحَديثُ... وجِئْتُكَ بالحَديثِ على سُوْقِهِ: على سَرْدِهِ[٣]. وجاء في لسان العرب: "مُساوَقَةُ الإبِلِ: مُتابَعَتُها كأنَّ بَعضَها يَسوقُ بَعضًا"[٤]. يتَّضحُ مِمّا تقدَّم أنَّ لكلمة (سياق) في اللغة استعمالَين اثنَين: الأول، أنْ تأتي مصدرًا (سَوْق) فتدلُّ على التتابع، ومِنه سياقُ الإبل؛ أي أنْ يتبَعَ بعضُها بعضًا، ومِنه قوله تعالى: ﴿وَسِيقَ الّذين كَفَرُوا إلى جَهَنَّمَ زُمَرًا﴾[الزمر: ٧١]، وقولُه عزَّ وجَلَّ: ﴿وَسِيقَ الّذينَ اتَّقَوا رَبَّهُم إلى الجَنَّةِ زُمَرًا﴾[الزمر: ٧٣]. والآخَر أنْ تكونَ مَفعولًا (مَسوق)، ومِنه سياقُ المهرِ وهو مَسوق، وسياقُ الكلامِ، وهو مَسوقٌ أيضًا. وفيما يَخصُّ الكلام يُمكن الجمع بينَ المَعنَيَين؛ فيكون الكلامُ مَسوقًا ومُتَتابعًا، وبذلك يدلُّ السياقُ على تتابع الكلام والأسلوب الّذي يجري عليه.

السياق اصطلاحًا:

أمّا في الاصطلاح فالسياق هو: "النظم اللفظي للكلمة، وموقعها من ذلك النظم بأوسع معاني هذه العبارة"[٥]، وجاء تعريفُ السياق في معجم السيميائيات لغريماس وكورتيس بأنَّه: "مجموع النصوص التي تسبق أو تواكب وحدة تركيبية معينة، وتتعلق بها الدلالة، حيث يمكن له أنْ يكون صريحًا أو لسانيًا، ويمكن أنْ يكون ضمنيًا، ويتميّز في هذه الحالة بأنَّه سياق خارج لساني أو مَقامي"[٦]. أي أنّ السياقَ نوعان: مقالي (لغوي)،

ومَقامي (غير لغوي) يشمل الظروف الخارجية التي لها علاقة بالخطاب والمُتَخاطبين؛ فالسياق –عند اللغويين المعاصرين– هو الإطار الذي يجري فيه التخاطب بين شخصين أو أكثر، وهذا الإطار يشمل كلَّ الظروف والملابسات اللغوية وغير اللغوية التي تتصل بالعنصر اللغوي المُراد تحليله، كالأجزاء اللغوية السابقة واللاحقة لذلك العنصر، والظروف الخارجية المحيطة به، مثل زمن التكلّم، والمفاهيم المشتركة بين المُتخاطبِين، وهذا ما أكّده العالم (كونرد) بقوله: "إن السياق يعني واحدًا من اثنين: أولًا، السياق اللغوي: وهو ما يسبق الكلمة، وما يليها من كلماتٍ أُخَر، وثانيًا، السياق غير اللغوي: أي الظروف الخارجة عن اللغة التي يَرِدُ فيها الكلام"(٧).

- **السياق عند المُحدَثين:**

تُعَدُّ النظرية السياقية من النظريات المهمة في دراسة المعنى وتحديد الدلالة، وهي نظرية لغوية أصيلة، قوامها دراسة المعنى بما له صلة بالمبنى، ولهذه النظرية جذور قديمة في تراثنا العربي؛ فقد تناولها معظم علماء اللغة والبلاغة والأصول، إلّا أنَّ مُصطلح السياق لم يبرز ويُصبح نظرية منهجية عُرِفت باسم النظرية السياقية إلّا عند علماء اللغة المُحدَثين، وتحديدًا في المدرسة اللغوية الاجتماعية اللندنية على يد مؤسسها وزعيمها (فيرث) الذي أكَّدَ الوظيفة الاجتماعية للغة، وأثبت أنَّ المعنى وظيفة السياق.والسياق عند (فيرث) يدلُّ على عناصر الموقف الكلامي كُلِّها، كالمتكلم والسامع، والانفعالات والاستجابات التي تحدث في أثناء الكلام، وكُلِّ ما يَتَّصلُ بالموقفِ الكلامي ويُؤَثِّرُ فيه مِن قريبٍ أو بعيد(٨).فتلك العناصر مجتمعة تُمَثِّلُ إحالاتٍ مرجعية تُمكّن القارئ مِن تأويل الألفاظ والجمل، ومن ثَمَّ فهم النَّص كاملًا وتحديد دلالته؛ فالسياقُ وحده هو الّذي يُحدِّد دلالة الكلمة في الجملة، لأنَّ الكلمة لا معنى لها خارج السّياق الّذي تَرِدُ فيه، أو أنَّ لها مَعانٍ مُتعَدِّدة يقومُ السياقُ بحصرها وتحديد المُراد مِن بينها. وقد أكَّدَ فيرث هذه الوظيفة للسياق؛ فهو يرى "أن المعنى لا ينكشف إلّا من خلال تسييق الوحدة اللغوية، أي وضعها في سياقات مختلفة... ذلك أنَّ معظم الوحدات الدلالية تقع مجاورة لوحدات أخرى، ومعاني الوحدات لا يمكن وصفها أو تحديدها إلّا بملاحظة الوحدات الأخرى التي تقع مجاورة لها"(٩).أمّا (أولمان) فقد تحدّث عن دَور السياق في تحديد معاني الكلمات المُشتركة في بنيتها الصوتية، يقول: "كثيرٌ من كلماتنا لها أكثر من معنى، غير أنَّ المألوف هو استعمال معنى واحد فقط من هذه المعاني في السياق المُعَيَّن، وإذا تصادف أن اتفقت كلمتان أو أكثر في أصواتها اتفاق تام، فإنَّ مثل هذه الكلمات، لا يكون لها معنى البتة دون السياق الّذي تقع فيه"(١٠). الأمر الّذي يؤكّد أنَّ السياق ظاهرة مهمة من ظواهر التركيب، لها أهمية كبيرة في تفسير النصوص وإسباغ دلالة مُحَدَّدة على الكلمات، فالكلمات لا تحمل في ذاتها دلالة مطلقة، وإنَّما تَتَحَدَّدُ دلالتها عن طريق السياق الذي ستعمل فيه، وعليه يصعبُ الفصلُ بين التركيب والدلالة.إنَّ مفهوم السياق عند (أولمان) مفهوم واسع، لا يقتصرُ على العَلاقات الرابطة بين الكلمة وما يسبقها أو يلحقها من كلمات داخل التركيب، بل تمتد لتشمل النص كلّه أو الكتاب بأكمله، بالإضافة إلى الظروف والملابسات غير اللغوية المُتعلّقة بالمقام الذي تُستعمل فيه الكلمة، وقد أكَّدَ ذلك بقوله: "إنَّ السياق على هذا الأساس وهذا التفسير ينبغي ألّا يقتصر على الكلمات والجمل الحقيقية السابقة واللّاحقة للكلمة فحسب، بل ينبغي أنْ يشمل القطعة كُلَّها والكتاب كُلَّه، كما ينبغي أن يشمل – بوجهٍ مِن الوجوه– كُلَّ ما يتَّصلُ بالكلمة من ظروف ومُلابسات العناصر غير اللغوية المُتَعَلِّقة بالمقام الذي تنطلق فيه الكلمة، والكلمة لها هي الأخرى أهميتها البالغة في هذا الشأن؛ لِما لهذه العوامل جميعها من تأثيرٍ مباشرٍ في المعنى الدقيق للكلمات"(١١). إنَّ (أولمان) وهو يتحدّث عن أهميّة السياق ودوره في تحديد معاني الكلمات لم يكن من السياقيين المُغالين الّذين يَرون أنَّ الكلمات لا معنى لها خارج التركيب، وأنَّ الكلمة المفردة لا معنى لها في ذاتها، فهو يرى أنَّ الكلمات المفردة لها معانٍ في ذاتها، غاية ما في الأمر أنَّ الكثير من هذه الكلمات قد يَعتريها الغموض، وأنَّها تكون مائعة لا تحظى بالتحديد الدّقيق في أذهان المُتكلمين والسامعين إلّا حين تضمّها التراكيب المكتوبة أو المنطوقة، وهذا لا ينفي أنْ تكون لها معانٍ مركزية، والراجح "أنَّ أولمان أصاب كبد الحقيقة في ملحظه هذا؛ لأنَّ المرء إذا ما نظر في كلمات تتناوب معانيها بتناوب السياق، فإنَّه سيجد أنَّها تدور في فلك معنى مركزي، وقد يكتنفها كثير من الميوعة وهي منفردة"(١٢). أي أنَّه أثبتَ حقيقة أنَّ الكلمة المفردة لها معنى في ذاتها، وقد تتعدَّد معانيها أو يشوبها الغموض، فيأتي دور السياق لتحديد الدلالة وتوضيح المعنى وحصر التأويلات المُحتملة، وهذا الدور المهم للسياق دفع (أولمان) إلى القول بأنَّ "نظرية السياق إذا طُبِّقَت بحكمة تُمثّل حجر الأساس في علم المعنى، وقد قادت بالفعل إلى الحصول على مجموعة من النتائج الباهرة في هذا الشأن"(١٣).

ويُمكن تلخيص نظرية السياق بأنَّ الكلمات تستمدُّ دلالاتها مِن السياقات التي تُستعمَلُ فيها، وتنهل كُلُّ كلمةٍ معناها مِن التركيبِ الّذي تنتظمُ به، بوساطة تفاعلها مع ما يسبقها وما يلحقها مِن كلمات؛ هذا على المُستوى اللغوي، أمّا على المُستوى غير اللغوي فإنَّ السياق يشمل جميع الظروف والملابسات المُحيطة بالكلام، وعلاقته بالمقام، وأحوال أطراف الخطاب، وهو ما يُسمى سياق الموقف، أو السياق المقامي الّذي يُقابل السياق المقالي.

ومن ثَمَّ فإنَّ ما ذكره هؤلاء الأعلام مِن وظائف مهمة للسياق صحيحٌ جدًّا، ولاسيما في ما يخصّ بعض الظواهر الدلالية التي يكون فيها للدال الواحد أكثر من مدلول، وهو ما يُعرف بالمُشترك اللفظي، أو المدلول الواحد الّذي يُعَبَّر عنه بأكثر مِن دالٍّ واحد، وهو ما يُسمّى (الترادف)، وهو مُتعلّقٌ بموضوع بحثنا، أو الكلمات المُتضادة المُسمّاة (الأضداد)، فهذه الألفاظ ذات المعاني المُتعدِّدة لا يتحدَّدُ معناها المقصود إلّا بوساطة القرينة، والقرينة السياقية قد تكون لفظية (مقالية) أو غير لفظية (مقامية)، والقرينة الأولى –اللفظية– لها الأولوية في توجيه المعنى وتحديد الدلالة؛ لأنَّ النَّص يُشَكِّلُ شبكةً مُترابطةً مِن العَلاقات الدلالية الّتي تنتظم وتتفاعل داخل السياق.

- **السياق عند العرب القدامى:**

قدّمنا الحديث عن السياق عند المُحدثين؛ لأنّه ما استوى نظرية متكاملة الأركان إلّا على أيديهم، وما وُضعَ تعريفٌ اصطلاحي للسياق إلّا عندهم، فعلى أيديهم صار الحديث عن السياق مؤطّرًا بإطارٍ نظري بعد أنْ كان عند القدماء –ولاسيما عند علماء العربية– مُجرّد إلماحات عن قيمته ووظيفته في تحديد المعاني وضبط التأويل، وهي إلماحاتٌ مهمة، وإشاراتٌ تشي بمعرفتهم لقيمة السياق كما عرفها المُحدَثون، إلّا أنَّهم لم يجعلوا منه نظريةً لغويةً خاصة كما عرفناها في الدرس اللغوي الغربي الحديث.فعلى الرّغم من ورود كلمة السياق في المعاجم العربية ودلالته على معنى واحد تقريبًا إلّا أنَّ القائمين على الدرس اللغوي العربي القديم لم يضعوا له تعريفًا اصطلاحيًا مُحدَّدًا، بل اختلفت تسمياته لديهم، كما استعملوه استعمالاتٍ مُتعدِّدة، ولكن حديثهم عن السياق يكشف عن معرفةٍ تامّةٍ بأثر السياق في تحديد المعنى وتوجيه الدلالة. وقد كان للنظم القرآني ومحاولة الكشف عن سرّ إعجازه الدور الأكبر في إلفات نظر العلماء إلى أهمية السياق في الكشف عن النَّظم الخاص بالقرآن، وهو نظمٌ مُعجِزٌ ومُؤثِّر، لا تكفي معرفة ظاهر ألفاظه المفردة لفهم معانيه فهمًا صحيحًا، بل لابُدَّ من معرفة السياق بشقَّيه: المقالي والمقامي للوصول إلى فهم معانيه واكتشاف دلالاته، والكشف عن سرّ إعجازه في النّظم وتأليف الكلام.وسنُسلّط الضوء على إشارات المُفسرين والأصوليين، واللغويين والبلاغيين إلى أهمية السياق ووظيفته، وهي نظرة مُتقدّمة لا تقلّ أهمية عمّا جاء به المُحدَثون، ولكن ينقصها الضبط الّذي يجعل منها نظرية ذات أصولٍ مُحدَّدة، وسيُسهم الحديث عن تلك الإشارات بعد بيان دور المُحدَثين في التأسيس لهذه النظرية في تحديد النظرة العلمية الدقيقة لمفهوم السياق –قديمًا وحديثًا– الّتي تُمكّننا من تتبع دلالة السياق وبيان أهميتها في توجيه المعنى وتحديده وإثراء الدلالة وحصرها، وتوظيف ذلك كُلّه في الدراسة التطبيقية لأسماء الجبل ومُرادفاته في القرآن الكريم.

أولًا: السياق عند المُفَسّرين والأصوليين:

ارتبطت دراسات الأصوليين وعلماءِ التفسير بالنص القرآني؛ لذا برز اهتمامهم بالسياق بشكلٍ واضحٍ ودقيق، فقد أدركوا أهميته في تحديد دلالة الألفاظ القرآنية ومعرفة معاني الآيات، ومِن ثَمَّ فهم النّص القرآني وضبط تأويله وتفسيره تفسيرًا صحيحًا، وعَدّوا النظر إلى السياق بشقّيه: اللغوي والحالي من قواعد التفسير الصحيح؛ حتى أنّهم اشترطوا تحلّي مُفسّر القرآن الكريم ببعض العلوم والمعارف الّتي لها عَلاقة بالسياق اللغوي أو الحالي؛ لاعتماده عليها في فهم النص القرآني وتفسيره؛ لأنَّ التّفسير يُستَمَدُ مِن علوم اللغة والنحو والتصريف، ومِن علوم البلاغة وأصول الفقه والقراءات، بالإضافة إلى معرفةٍ مُعجَمية تُمكّنه من معرفة دلالات الألفاظ المُفردة المُتعدِّدَة الدلالة، ومعرفة لهجات العرب وطرائقهم في التعبير، كما اشترطوا مُراعاة المُفسّر للسياق اللغوي، فإذا أراد تفسير بعضِ آياته وَجَبَ عليه استحضار النص القرآني بأسره؛ لأنَّ القرآن يُفَسِّرُ بعضُه بعضًا، فما أُجمِلَ منه في مَوضعٍ فُصِّلَ في مَوضعٍ آخَر، كما أنَّ للسياق دورٌ مهم في تقييد المُطلق وتخصيص العام، وإزالة اللبس وإيضاح الغموض، هذا على مُستوى السياق اللغوي، أمّا على مُستوى السياق الحالي فقد اشترطوا معرفة المُفَسّر بالناسخ والمنسوخ، وبأسباب النزول وزمانه ومكانه وكُلِّ الظروف والمُلابسات المُحيطة به، وهذه المعارف هي الأدوات الّتي ينبغي على المُفَسّر الإلمامُ بها وإلّا لا يَحِلُّ له الإقدام على تفسير كتاب الله، وفي ذلك يقول أنس بن مالك: "لا أُوتَى برجلٍ يُفَسِّرُ كتابَ اللهِ غيرَ عالمٍ بلُغةِ العرب، إلّا جعلتَهُ نكالًا"(١٤). فالسياق عند المُفَسّرين مِن أعظم القرائن الدالّة على مُرادِ المتكلم، يقول ابن قَيّم الجوزية عن أهمية السياق في تحديد الدلالة: "السياقُ يُرشِدُ إلى تَبيينِ المُجمَلِ وتَعيين المُحتَمَل، والقطع بعدمِ احتمال غير المُراد، وتَخصيص العام، وتَقييدِ المُطلَق، وتَنوّع الدلالة، وهذا مِن أعظمِ القرائِنِ الدالّةِ على مُرادِ المُتكلم، فَمَن أهمَلَه غَلَطَ في نَظَرِه، وغالَطَ في مُناظَرَتِه، فانظر إلى قولِه تعالى: ﴿ذُقْ إِنَّكَ أَنتَ العَزِيزُ الكَرِيمُ﴾[الدخان: ٤٩] كيف تجد سياقَه يَدلُّ على أنَّه الذليلُ الحقير"(١٥).أي أنَّ السياق عنده مِن ضوابط التأويل المهمة، الّتي يُتَوَصَّلُ بها إلى اكتشاف أنواع التأويلات الباطلة، الّتي منها: "ما لم يحتمله سياقُه وتركيبُه وإنْ احتمَلَه في غيرِ ذلك السياق، كتأويلِ قولِه تعالى: ﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلّا أَنْ تَأْتِيَهُم المَلائِكَةُ أَوْ يَأْتِي رَبُّكَ أو يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّك﴾[الأنعام: ١٥٨] بأنَّ إتيانَ الرَّبِ: إتيانُ بَعضِ أمرِه. وهذا يأباه السياقُ كُلَّ الإباء؛ فإنَّه يمتنع حمله على ذلك مع التقسيم والترديد والتنويع"(١٦).

ويرى (بدر الدين الزركشي) أنَّ فهم النص القرآني الّذي لم يردْ فيه نقل عن المُفَسّرين الأوائل يكون بالاحتكام للسياق؛ فهو خير وسيلة للوصول إلى فهم تلك المعاني، يقول في ذلك: "وطريقُ التوصّلِ إلى فَهمِه، النظرُ إلى مُفرداتِ الألفاظِ مِن لغةِ العرب ومدلولاتِها واستعمالِها بحَسبِ السياق، وهذا يعتني به (الراغب) كثيرًا في كتاب (المفردات)، فيذكرُ قَيدًا زائدًا على أهلِ اللغةِ في تَفسيرِ مَدلولِ اللفظ، لأنَّه اقتَنَصَه مِن السياق"[١٧].وكذلك التفتَ الأصوليون إلى أهمية السياق وأولوه عناية كبيرة، ولعلَّ الإمام الشافعي أوّل من ذَكَرَ مُصطلح السياق بمفهومه الحديث الدال على طريقة تتابع الكلام وغرضه، وخَصَّصَ له في رسالته بابًا في علم أصول الفقه أسماه (باب الصنف الذي يُبَيّنُ سياقُه معناه)[١٨]، وإذا أنعمنا النظر في ما قام به الإمام الشافعي في هذا الباب نجد أنَّه يعني بالسياق كُلَّ ما يُحيط بالعنصر اللغوي مِن مؤثرات لغوية وحالية تُسهم في تحديد معناه والكشف عن دلالته، ومِمّا قاله في هذا الباب إنَّ الكلام قد يكون "عامًّا ظاهرًا يُرادُ به العام ويدخلُه الخاص، فيُستَدَلُّ على هذا ببعضِ ما خُوطِبَ فيه، وعامًّا ظاهرًا يُرادُ به الخاص، وظاهرًا يُعرَفُ في سياقِهِ أنَّه يُرادُ به غيرَ ظاهرِه، وكُلُّ هذا موجودٌ علمُه في أوّلِ الكلام، أو وسطه ، أو آخره"[١٩]؛ فهذه إشارة صريحة إلى أنَّ الكلام قد يظهر منه غير المعنى المقصود، إلّا أنَّ السياق هو الّذي يُحَدِّد المعنى المُراد ويدلُّ عليه، وهذا عينه ما تقوله النظرية السياقية الحديثة.

ثانيًا: السياق عند اللغويّين والبلاغيّين

لقد أدرك اللغويون والبلاغيون العرب أهمية السياق في تحديد المعاني والكشف عن الدلالة، فإذا تفحصّنا التراث اللغوي العربي سنجد بما لا يدعُ مجالًا للشك فكرة السياق بشقيه: اللغوي والحالي حاضرةً في حديثهم عن طرق تحديد معاني الألفاظ ودلالة الكلام، كما فعل الخليل في معجم العين، إذ يُورد للفظة الواحدة معانٍ مُتعدّدة ومُختلفة، ويستشهد عليها بنصوصٍ لغويةٍ فصيحة من شعر العرب ونثرهم، وأنَّ السياق هو مَن يُحدِّد المعنى المُراد مِن بين المعاني المُتعَدِّدة، وقد سار على نهجه أصحابُ المعاجمِ كُلُّهم.وقد أورد سيبويه في (الكتاب) أمثلة كثيرة وحلّلها تحليلًا يكشف عن إدراكٍ تامٍ لوظيفة السياق بشقَّيه: المقالي (اللغوي) والمقامي (الحالي)، وذلك في حديثه عن بعض التراكيب المخصوصة الّتي ردّها إلى أنماط لغوية مُحَدَّدة ومُقَرَّرة، وقد عرض لها من الوجهة المقالية (اللغوية) على وفق نظرية العامل، فاعتنى بالسوابق واللواحق والحذف وغيرها من العناصر اللغوية السياقية، وفي الوقت ذاته عرضَ لها من الوجهة المقامية (الحالية)، كحالَي المُتكلم والمُخاطَب، وموضوع الكلام وغيرها من المواقف الاجتماعية الّتي تُستَعمَلُ فيها[٢٠].كما أورد سيبويه في كتابه بعض الأمثلة الّتي توضح دَور السياق في توجيه المعاني، منها قوله: "يقول الرجل: أتاني رجلٌ، يريدُ واحدًا في العدد لا اثنين، فتقول: ما أتاك رجلٌ، ثم يقولُ أتاني رجلٌ لا امرأة، فتقول: ما أتاك رجلٌ؛ أي امرأةٌ أتتكَ، ويقول: أتاني اليومَ رجلٌ، أي في قوّتِه ونفاذه، فتقول: ما أتاك رجلٌ؛ أي أتاك الضعفاء، فإذا قال: ما أتاك أحدٌ صار نفيًا عامًّا"[٢١].وهذه إشارة واضحة على وجوب معرفة السياق لتحديد المعنى الّذي عناه المُتكلّم، فعلى الرّغم من وحدة التعبير إلّا أنَّ معانيه مُختلفة، والسياقُ هو الإطار الّذي يحصرُ المعنى المُراد. ومِن اللغويين العرب القدامى الّذين أدركوا أهمية السياق في تحديد الدلالة ودوره في استكمال المعنى محمد بن القاسم بن محمد الأنباري، يتّضحُ ذلك في قوله: "إنَّ كلامَ العربِ يُصَحِّحُ بعضُه بعضًا، ويرتبطُ أولُه بأخرِه، ولا يُعرفُ معنى الخطاب منه إلّا باستيفائه واستكمال جميع حروفه"[٢٢]. وهذا القول يُشيرُ صراحةً إلى أنَّ دلالة الكلمة المُفردة، أو النّص غير المُكتمل يُحدِّدُها السياقُ بعد استيفاء النّص كاملًا، والنّظر بالسوابق واللواحق.ولابن جني إشاراتٌ دقيقةٌ تدلُّ على معرفةٍ تامّةٍ بأثرِ السياق اللغوي ودورِ الظروف والملابسات الاجتماعية المُحيطة بالنص في تحديد دلالته، يتّضحُ ذلك في تحليله لبيتٍ شعري أوردَه شاهدًا عن الحال المُشاهدة، ودور الحدث اللغوي والسياق في تحديد المعنى المُراد مِنه، والبيت هو:

تقولُ وَصَكَّتْ وَجهَها بيَمينِها أَبَعليَ هذا بالرّحى المُتقاعِسُ[٢٣]

وقد فسّرَ ابنُ جني هذا البيت بقوله: "فلو قال حاكيًا عنها: أَبَعليَ هذا بالرَّحى المتقاعسُ، مِن غيرِ أنْ يذكرَ صَكَّ الوَجهِ لأعلَمَنا بذلك أنَّها كانت مُتعجّبةً مُنكِرة، لكنَّه لَمّا حَكى الحال فقال: وصَكَّتْ وَجهَها، عُلِمَ بذلكَ قوّةُ إنكارِها وتعاظُمُ الصورَةِ لها"[٢٤].وهنا استعان ابنُ جني بالحال المُشاهَدة الّتي رسمها الشاعرُ بقوله: (صَكَّت وَجهَها)، ليستدلَّ على أنَّ المعنى المُراد هو الإنكار وليس التعجّب، فكان السياق الاجتماعي الّذي رسمه السياق اللغوي هو الفيصلُ في استبعاد دلالة التّعجب وإثبات دلالة الإنكار.وكذلك أدرك البلاغيون أهمية السياق وأثره في إصابة المعنى والوصول إليه، حتى أنَّ أساس البلاغة عندهم هو مطابقة الكلام لمقتضى الحال، فضلًا عن مقولتهم الّتي تُشكّل ركيزةً أساسيةً مِن ركائز البلاغة العربية، وهي: (لكُلِّ مَقامٍ مَقال)[٢٥]، فانطلقوا في دراسة مباحث البلاغة في ضوء فكرة المقام/ السياق، وشدّدوا على وجوب مراعاة المتكلم للمقامات ولمقتضى الحال، وهم بذلك يتحدّثون عن السياق بمفهومه الحديث إلّا أنَّهم يُسمّونه المقام.لقد درسَ البلاغيون مفهوم السياق تحت اسم (المقام)، وأجمعوا على أنَّ المعنى أو الدلالة لا يُتَوَصَّلُ إليها بظاهر اللفظ من دون الاستعانة بالسياق الّذي تَرِدُ فيه، أو

معرفة المَقام وأحوال المُخاطَبين والمُتكلمين بحسب تعبيرهم. وهذا ما نجده في قول (الجاحظ): "ينبغي للمُتكلّمِ أنْ يعرفَ أقدارَ المَعاني، ويُوازنَ بينها وبين أقدارِ المُستَمعين، وبينَ أقدارِ الحالات، فيجعَل لِكُلِّ طبقةٍ مِن ذلك كلامًا، ولِكُلِّ حالةٍ مِن ذلك مقامًا، حتى يُقَسِّم أقدارَ الكلامِ على أقدارِ المعاني، ويُقسِّم أقدارَ المَعاني على أقدارِ المَقامات، وأقدارَ المُستمعين على أقدارِ تلكَ الحالات"(٢٦). كما أنَّ مفهوم الصياغة الفنية عند الجاحظ مُطابقٌ لمفهوم السياق عند المُحدَثين. وكذلك اشترط (ابن قتيبة) على الكاتب أنْ يُراعي مُقتضى الحال، وأنْ يجعلَ ألفاظَه "على قدر الكاتب والمكتوب إليه، وألّا يُعطي خسيسَ الناسِ رفيعَ الكلام، ولا رفيع الناسِ وضيعَ الكلام"(٢٧). كما أنّه يرى أنَّ مباحث البلاغة، ومِنها الإيجاز والإطناب يجبُ أنْ يخضعا لمقام الكلام وأحوال المتكلمين(٢٨).ولعلّ مفهوم السياق يتجلّى بشكلٍ أوضح عند (عبد القاهر الجرجاني)، ولاسيما في نظريّة النظم الّتي أسَّسَ لها في كتابَيه: (دلائل الإعجاز، وأسرار البلاغة)، ومعلوم أنَّ نظرية النّظم تقوم على أساس أنَّ الألفاظ لا تكتسب معانيها ولا فصاحتها وحُسنها في حالةِ إفرادِها، وإنّما في نظمها ودخولها في تركيبٍ لغوي يمنحها المعنى والفصاحة، وَعَدَّ الجرجاني السياق أصلًا عظيمًا مِن أصول معرفة الكلام، وعلمًا شريفًا ينبغي معرفته، فقال: "اعلَمْ أنَّ ههنا أصلًا أنت ترى الناسَ فيه في صورَةِ مَن يَعرفُ مِن جانبٍ ويَنكرُ آخَر، وهو أنَّ الألفاظَ المُفرَدة الّتي هي أوضاعُ اللغةِ لم تُوضَع لتُعرَف مَعانيها في أنفسِها، ولكن لأنْ يُضَمَّ بَعضُها إلى بعضٍ، فيُعرَفُ فيما بينِهما فوائد، وهذا علمٌ شريفٌ وأصلٌ عظيم"(٢٩). ويستدلّ الجرجاني على صحّة رأيه بأنَّنا قد نرى اللفظة المُفردة تروقُ وتؤنسُ في موضعٍ، وتثقلُ وتوحِشُ في مَوضعٍ آخَر(٣٠).فالسياق عنده هو نقطة البدء وليس الكلمة، فالتعبير لا يُمكن أن يتمَّ إلّا بوساطته؛ لذا وَجَبَ رصد السياق ودراسة العَلاقات الّتي يُقيمها بين الألفاظ، للوصول بعد ذلك إلى المعاني المقصودة(٣١).وقد ربطَ الجرجاني بين القرائن النحوية وكُلّ ما يتّصلُ بالسياق اللغوي كالتضام والرتبة والمطابقة، من جهة، وسياق المقام وما يتّصلُ به من ظروفٍ ومُلابَسات، وبكُلّ ما يرتبطُ بأحوالِ المُتكلمين ومشاعر المُخاطَبين وموضوع الكلامِ مِن جهةٍ أخرى(٣٢).والخلاصة: أنَّ علماء العربية مِن المُفَسرين والأصوليين واللغويين والبلاغيين عرَفوا مَفهوم السياق وأدركوا أهميته ودَوره في حصر المعاني وتحديد الدلالة، واعتَنوا به عناية لا تقلُّ عن نظيرتها في الدرس اللغوي الغربي الحديث، ولكنَّهم لم يُقدِّموا للسياق تعريفًا اصطلاحيًا، ودَرسوه تحت مُسَمّياتٍ مُختلفة، كالمقام ومُقتضى الحال، ومِن ثَمَّ لم يَستوِ عندهم بوصفه نظريةً لغويةً قائمةً بذاتها، بل مجرّد إشارات عَرَضيّة –وإنْ كانت غاية في الأهمية– ولعلّ (الجرجاني) هو الوحيد الّذي ارتقى به إلى مُستوى التنظير، ولكن أيضًا درسه تحت مُسمَياتٍ مُتعَدِّدة، مثل (النَّظم، والتعليق، والبناء، والتّضام، ومَقام الاستعمال، ومقتضى الحال)(٣٣).

المبحث الثاني: الجبل ومرادفاته من الأسماء والصفات في القرآن الكريم

يَرِدُ ذِكرُ الجبل/ الجبال بهذه التسمية مُفردًا وجمعًا، وبألفاظ أخرى متنوعة ودالَّة عليها تَرِدُ في سياقاتٍ قرآنيةٍ مُتعَدِّدَةٍ ومُختلفة، بحيث يُمكن بيان تلك الألفاظ وتَحليل السياقاتِ الّتي وَرَدَت فيها في محورين، وعلى النحو الآتي:

المحور الأول: تعريف الألفاظ الدالة على الجبال في القرآن الكريم

بعد جمع الألفاظ الدالة على الجبال في القرآن الكريم، يمكن تصنيفها وعرضها في ثلاث مجموعات على النحو الآتي:

أولًا: لفظا جبل/ جبال في القرآن الكريم:

جاء في معاجم اللغة: الجيم والباء واللّام أصلٌ يطّرد ويقاس، وهو تجمّع الشّيء في ارتفاعٍ؛ والجبل: اسم لكل وتد من أوتاد الأرض إذا عظم وطال؛ فالجبل في اللغة، هو المرتفع من الأرض ارتفاعًا ملحوظًا يجعله يعظم ويطول على ما حوله من الأرض، والجمع جبال(٣٤)، أما في الاصطلاح، فالجبل هو كل ما ارتفع من الأرض بشكل ملحوظ عن الأراضي المجاورة له، كما يعرف بأنه شكل من أشكال تضاريس الأرض، يتكون على شكل كتلة من الأرض ترتفع بشكل واضح بارزة فوق ما يحيطها، وتكون أعلى من التَّل، وقد تكون الجبال متصلة في سلاسل جبلية تمتد لمسافات طويلة، وقد تكون أحيانًا على شكل مرتفعات فردية معزولة(٣٥). ورد ذكر الجبال بصيغتَي المفرد الجمع (جبل/ جبال) في القرآن الكريم تسعًا وثلاثين مرة(٣٦).

جدول (١): لفظيّ جبل/ جبال في القرآن الكريم

م	اللفظ	تكراره	مكي	مدني
١	جبل	٦	٤	٢
٢	جبال	٣٣	٢٩	٤
إجمالي		٣٩	٣٣	٦

ثانيًا: مرادفات الجبل/الجبال في القرآن الكريم:

ترد في القرآن الكريم خمسة ألفاظ ترادف في معناها معنى الجبال، كما يوضح الجدول أدناه:

جدول (٢): مرادفات الجبل/الجبال في القرآن الكريم

م	اللفظ	تكراره	مكي	مدني
١	الأعلام (جمع ومفرده: علَم)	٢	٢	
٢	أوتاد (جمع ومفرده: وتد)	١	١	
٣	ربوة	٢	١	١
٤	رواسي (جمع ومفرده: راسية)	٩	٨	١
٥	الطود	١	١	
إجمالي		**١٥**	**١٣**	**٢**

١. الأعلام؛ جمع علَم، وهو في اللغة: العلامة، والأثر، والجبل، والراية، والعَلَم في الاصطلاح لا يخرج عن هذه المعاني اللغوية، ومنها أنَّه الجبل المرتفع الذي تعرف عن طريقه الطريق، والذي يهتدي به الناس في طرق ارتحالهم، والجبل أعمُّ وأشمل في دلالته من العَلَم، فالجبل هو كُلُّ ما ارتفع عن الأرض، وكان وتدًا ثابتًا، أمّا العَلَم فيقتصر على ما زاد ارتفاعه وكان دالًا على الطريق[٣٧]. وقد وَرَدَ ذكر لفظ (الأعلام) دالًا على الجبال في موضعين من القرآن الكريم[٣٨].

٢ الأوتاد؛ جمع وتد[٣٩]، وفي المعاجم العربية يأتي معنى الجبل بأنَّه: كُلُّ وتدٍ من أوتاد الأرض[٤٠]، وأوْتادُ الأَرْضِ جِبالُها[٤١]. وردَ ذكر الأوتاد بمعنى الجبال في القرآن الكريم في موضعٍ واحد[٤٢].

٣. الربوة؛ وهي الرابية، وجمعها: رُبى، والربوة والرابية هي كُلُّ ما ارتفع من الأرض، والربوة: كُلُّ شيء ارتفع عن الأرض، سواء أكان جبلًا، أم غير ذلك[٤٣]؛ والربوة أعمُّ وأشمل من الجبل، لأنَّها تشمل الجبل والهضبة والتل والأكمة وغير ذلك، وبهذا يكون الجبل أوضح من حيث الدلالة، وأعظم من حيث العبرة والاعتبار. ورد ذكر المرتفع من الأرض بلفظ (ربوة) في موضعين من القرآن الكريم[٤٤].

٤. الرواسي؛ جمع راسِيَة، وأصلها من الفعل رَسَا الذي مضارعه: يَرْسُو، ويُراد بها: الثابت[٤٥]، ورسا الشيء– رَسوًا ورُسُوًّا: ثبت، ورسا الجبل: ثبت أصله في الأرض، والراسية: الوتد في الأرض. والرَّواسي من الجبال، هي: الثوابت الرواسخ[٤٦]، وقد ورد ذكر الرواسي في القرآن في عشرة مواضع، تسعة منها بهذا اللفظ، وفي الموضع العاشر بلفظ (أرساها)– والضمير في الآية يعود على الجبال[٤٧].

٥. الطود؛ الجبل العظيم، والجمع أطواد[٤٨]، والطود هو الجبل العظيم الذاهب صُعُدًا في الجو، ويشبه به غيره من كُلِّ مرتفع أو عظيم أو راسخ، ويدلُّ على معنى العلو والثبات[٤٩]. ورد ذكر الطود في القرآن الكريم في موضع واحد[٥٠].

ثالثًا: أسماء أعلام جغرافية للجبال في القرآن الكريم:

وهي أسماء أعلام جغرافية لجبال معروفة، أو أسماء ذهب بعضُ أهل التفسير إلى أنَّها لجبال، ويندرج ضمن هذه الفئة عشرةُ أسماء ورد ذكرُها في القرآن الكريم، كما هو مُبَيَّن في الجدول الآتي:

جدول (٣): أسماء أعلام جغرافية لجبال في القرآن الكريم (مرتبة أبجديًا)

م	اسم العلم الدال على جبل	تكراره	مكي	مدني
١	التين	١	١	
٢	الجودي	١	١	
٣	الرقيم	١	١	
٤	الزيتون	١	١	
٥	الصفا	١		١

٦	الطور	٨	٥	٣
٧	طور سيناء	١	١	
٨	طور سينين	١	١	
٩	عرفات	١		١
١٠	المروة	١		١
إجمالي		١٧	١١	٦

١. **التين**؛ جمع تينة[٥١]، وهو شجر من الفصيلة التوتية، وقد أطلق اللفظ على عدة أماكن، فالتين جبل بالشام، ومسجد بها، واسم لدمشق، وهو كذلك لجبال ما بين حلوان إلى همدان[٥٢]، وجبل مستطيل لغطفان، وقد رجَّح كثيرٌ من المفسرين أنَّه اسمٌ لجبلٍ في بيت المقدس أو ببلاد الشام[٥٣]؛ وقد وَرَدَ ذكرُ التين في القرآن الكريم في موضعٍ واحد[٥٤].

٢. **الجودي**؛ اسم جبل اختلف في تحديد مكانه، فقيل هو في شمال الجزيرة العربية، وهو أحد جبَلَي طَي[٥٥]، وقيل جبل في الموصل[٥٦]. ورد ذكر الجودي في القرآن الكريم في موضعٍ واحد[٥٧].

٣. **الرقيم**؛ اختلف المُفَسّرون في معنى الرقيم، فقيل: إنه اسم الجبل الذي كان فيه الكهف، وقيل هو اسم القرية التي كان فيها الفتية المذكورون في سورة الكهف[٥٨]. وَرَدَ ذكر الرقيم في القرآن الكريم في موضع واحد[٥٩].

٤. **الزيتون**؛ من الأسماء التي اختلف المفسرون في تحديد معناها، فقال البعض منهم: جبال الشام[٦٠]؛ وقد ورد ذكر الزيتون في القرآن الكريم في موضع واحد[٦١].

٥. **الصفا**؛ اسم جبل مشهور ومعروف بمكة، بمكان مرتفع من جبل أبي قبيس[٦٢]؛ ورد ذكر الصفا في القرآن الكريم في موضعٍ واحد[٦٣].

٦،٧، ٨. **الطور/طور سيناء/ طور سينين**؛ الجبل الذي بمدين، والذي كلم الله تعالى عليه موسى عليه السلام، والطور :الجبل الذي فيه الشجر، فإن لم يكن فيه شجرا لا يسمى طورا[٦٤]

وقيل الطور هو كلّ جبل بالسريانية[٦٥]، وقد ورد ذكر الطور بهذا اللفظ في القرآن الكريم في ثمانية مواضع، وفي موضع واحد ذكر طور سيناء، وفي موضع واحد أيضًا يرد ذكر طور سينين[٦٦].

٩. **عرفات**؛ اسم لجبل معروف في مكة، وهو الجبل الذي يقف عليه الحُجّاج[٦٧]. ورد ذكر عرفات في القرآن الكريم في موضعٍ واحد[٦٨].

١٠. **المروة**؛ اسم علم لجبل معروف في مكة، وهو من شعائر الله، أي أعلام متعبداته[٦٩]؛ وقد ورد ذكر المروة في القرآن الكريم في موضعٍ واحد[٧٠].

يتبيَّن مما تقدم، أنَّ ذكر الجبال بمختلف الألفاظ الدالة عليها ورد في (٥٧) موضعًا من السور المكية، وفي (١٤) موضعًا من السور المدنية.

المحور الثاني: التحليل السياقي:

ترد ألفاظ الجبل ومرادفاته من الأسماء والصفات في سياقات متعددة ومختلفة في القرآن الكريم، إذ يمكن تصنيف السياقات القرآنية التي وردت فيها تلك الألفاظ، ومن ثم تحليل أثر السياق في تحديد دلالاتها على النحو الآتي:

أولًا: السياق الدال على ماهية الجبال وصفاتها ورمزيتها

كما تبيَّن من قبل، فالجبال هي تلك الكتل المرتفعة عن الأرض، وتدل على الضخامة ،والصلابة ،والغلظ، والثبات، والثقل[٧١]، وفي القرآن الكريم يرد ذكر الجبال في سياق دال على ماهية الجبال، وصفاتها من حيث العلو والارتفاع والضخامة والشموخ، في آيات متعددة؛ ففي قوله تعالى: ﴿قَالَ سَآوِي إِلَىٰ جَبَلٍ يَعْصِمُنِي مِنَ الْمَاءِ﴾[هود:٤٣]، إذ ترد لفظة (جبل) بصيغة التنكير، في سياق قصة نوح عليه السلام، حينما دعا ابنه ليكون معه في السفينة خشية أن يغرق في الطوفان، إلّا أنَّ ابن نوح فَضَّلَ أنْ يلجأ إلى جبلٍ يتحصَّنُ به من الماء، فيمنعه من الغرق، ولفظ (يعصمني)، وأصله من الفعل (عصم)، أي حفظه ووقاه ومنعه[٧٢]، فكان هذا اللفظ دال على ماهية الجبال من حيث الارتفاع، بحيث لا يصل ماء الطوفان إلى قممها، ولأنَّ الطوفان كان بأمر الله تعالى، فقد اكتملت الآية بقوله تعالى على لسان نوح عليه السلام: ﴿قَالَ لَا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِلَّا مَن رَّحِمَ ۚ وَحَالَ بَيْنَهُمَا الْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ الْمُغْرَقِينَ﴾، وهذا ما يدلُّ على عظمة الطوفان، حتى أنَّه غَمَرَ الجبال معه. لقد أودى الغرور بابن نوح إلى الظن بأنَّ الجبل سيعصمه من الماء فلا يغرق، لذلك يرد ذكر الجبال في سياق ينهى فيه الله سبحانه وتعالى عن

الغرور الذي يظهر في فعل التجبّر والتبختر في المشي، إذ قال تعالى: ﴿وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّكَ لَنْ تَخْرِقَ الْأَرْضَ وَلَنْ تَبْلُغَ الْجِبَالَ طُولًا﴾[الإسراء:٣٧]، واستعمال لفظ (الجبال) بصيغة الجمع والتعريف تدل على الإطلاق؛ أي أنَّ الإنسان مهما علا وتكبَّر لن يبلغ طول الجبال وارتفاعها، كما أنَّ تقديم الجبال على صفتها وهي الطول قد أسهم في إبراز وتقوية المعنى، لأنَّ طول الجبال وارتفاعها معلوم، وفي هذا نهي شديد عن التكبر والغرور والتبختر في المشي، فكان السياق دال على ماهية الجبال باقتران ذكرها في صيغة الجمع بصفة الطول، وقد جاء في تعريف الجبال: كل ما علا عن سطح الأرض واستطال وجاوز التل ارتفاعًا[٧٣]، فكان اختيار لفظ (الطول) أكثر مناسبة في تحديد المعنى: أي أنك لن تساوي الجبال طولًا بفخرك وكبرك[٧٤].ومن الآيات الّتي يَرِدُ فيها ذكرُ الجبال في سياقٍ دالٍّ على ماهيتِها، وصفتِها قوله تعالى: ﴿وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ﴾[الغاشية:١٩] ، ففي هذه الآية يأمر اللهُ الناسَ بأنْ ينظروا ويتفكروا في آياته محددة بالجبال، "وكيف جعلها بقدرته منتصبة جامدة، لا تبرح مكانها، ولا تزول عن موضعها"[٧٥]، فلفظ (نُصِبَتْ) جاء مبنيًا للمفعول، من الفعل (نصب)، ويعني: أقام ورفع[٧٦]، والنصب هو إقامة الشيء ورفعه، ووضعه وضعًا ناتئًا[٧٧]؛ فيكون معنى الانتصاب هو العلو والارتفاع، وهذه هي صفة الجبال.كما يرد ذكر الجبال باستعمال لفظ (رواسي) في سياقٍ دالٍّ على ارتفاعها وعلوّها، في قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ شَامِخَاتٍ وَأَسْقَيْنَاكُمْ مَاءً فُرَاتًا﴾[المرسلات:٢٧]، ودلالة السياق في تحديد ماهية الجبال تتحدد بلفظ (شامخات)، وعن الشموخ في اللغة، قيل: الشين والميم والخاء أصلٌ صحيحٌ يدلُّ على التعظيم والارتفاع، يُقال جبلٌ شامخ، أي عالٍ[٧٨].وفي لسان العرب: شَمَخَ الجبلُ يَشْمَخُ شُمُوخاً: علا وارتفع. والجبال الشَّوامخ: الشّواهق. وجبل شامِخٌ: طويلٌ في السماءِ[٧٩]، وفي معجم العين: "جبلٌ شامخ: طويلٌ في السماء ويُجْمَعُ شَوامِخ، وقد شَمَخَ شُمُوخاً[٨٠].لقد اختار السياق القرآني في هذه الآية استعمال لفظ (رواسي) بدلًا من لفظ (الجبال)، دلالةً على الرسو، وهو الثبات والرسوخ[٨١]، كصفةٍ جوهريَّةٍ للجبال، فكان التقابل بين صفة الرسو والثبات مِن جهة، وصفة الشموخ والعلو والارتفاع مِن جهةٍ أخرى، أكثرَ دقَّةً وتحديدًا في وصفِ ماهيَّةِ الجبالِ وبيانِ طبيعتِها، ومِن ثَمَّ بيان قدرةِ اللهِ وعظمتِه، والتذكير بنعمِهِ على عبادِه.ومِن السياقاتِ القرآنيَّةِ الّتي وَرَدَ فيها ذِكرُ الجبالِ بدلالةٍ رمزيَّةٍ إلى عظمتِها وقوّتِها، قولُه تعالى: ﴿وَقَدْ مَكَرُوا مَكْرَهُمْ وَعِنْدَ اللَّهِ مَكْرُهُمْ وَإِنْ كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ الْجِبَالُ﴾[إبراهيم:٤٦]، وأيضًا في قوله تعالى: ﴿تَكَادُ السَّمَاوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنْشَقُّ الْأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًّا﴾[مريم:٩٠]، ففي هاتَين الآيتين يرد ذكر الجبال في سياق يتحدث فيه الله سبحانه وتعالى عن الكفار والمشركين، فالآية الأولى تأتي في سياق يشير إلى تآمر الكفار ومكرهم لقتل النبي صلى الله عليه وآله سلّم، ولبيان شدّة مكرهم وعظيم الأمر الّذي أقدَموا عليه وصفه بأنَّ الجبال الراسيات الثابتات تزول مِن عظمته، وذلك للمبالغة في تشنيعه من جهة، ومن جهةٍ أخرى لبيان أنَّ الله أقوى من مكرهم؛ إذ أحاط بهم وبما كانوا يمكرون، فكان لفظ (الزوال) حاملًا لدلالته الرمزية، وأكثر مناسبة لإيصال المعنى، فإزالة الجبال على الاستحالة أنْ تكون في حدود قدرة البشر، ولأنَّها لا تكون إلّا بقدرة الخالق وبأمره، دلَّت على عظم مَكر الكفار وتماديهم في الكفر والطغيان حتى تآمروا على قتل رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلَّم.

أمّا الآية الثانية، فتأتي في سياقٍ يُخبر فيه الله سبحانه وتعالى عن أولئك الذين أشركوا بالله ﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا﴾[مريم:٨٨]، ويُخاطبهم بقوله لهم: ﴿لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِدًّا﴾[مريم:٨٩]، أي شيئًا عظيمًا في كونه مُنكرًا، ومن عظمة هذا الافتراء على الله تعالى ﴿تَكَادُ السَّمَاوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنْشَقُّ الْأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًّا﴾[مريم:٩٠]، فمِن أقوال المفسرين في هذه الآية: "إنَّ الشرك فزعَت منه السماواتُ والأرضُ والجبالُ وجميعُ الخلائق إلا الثقلين، فكادَتْ أنْ تزولَ مِنه لعظَمَةِ الله"[٨٢].يَرِدُ في سياقِ الآية اللّفظان (تخّرُّ، هدًّا) بما لهما مِن دلالةٍ رمزية، يحيلان إلى عظمَةِ الجبالِ بوصفها آيةٍ مِن آياتِ الخالقِ عَزَّ وَجَلّ، فاللّفظُ الأوّلُ مِن الفعلِ (خَرَّ)، أي سَقَطَ مِن علوّه وتَهاوى بصوتٍ يَدلُّ على سقوطِه[٨٣]، أمّا (هدًّا)، فمِن الفعل (هَدَّ)، أي: صاتَ عند سقوطِه ووقوعِه وأصدرَ صوتًا عاليًا[٨٤]، وفي هذا إمعانٌ في التأكيد على عظمَةِ فِعلِ الشّركِ بالله، كأنَّه بعظمَةِ سقوطِ الجبالِ وانهيارِها.ومِن السياقاتِ القرآنيَّةِ الّتي تُظهِرُ رمزيةَ الجبالِ وعظمتِها وعظمَةِ خَلقِها وإنشائِها، قولُه تعالى: ﴿إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا﴾[الأحزاب:٧٢]، فالأمانةُ في هذه الآية هي أمانةُ التكليفِ الإلهي للإنسان بالامتثال لأوامرِ الله تعالى والانتهاء بنواهيه، إذ يُخبرنا عزَّ وَجَلَّ أنَّه عَرَضَها على السماواتِ والأرضِ والجبال، وخَيَّرها بين أنْ تحملَها وتحتملَ تبعاتِها مِن الثوابِ والعقاب، فأَبَينَ خشيةَ ألّا يَقدِرنَ على أدائِها على أكملِ وَجه، وأشفَقنَ على أيٍّ مِن الخَلقِ عَساه يَقبَلُ بأنْ يحملَها، ولهذا جاءَ وَصفُ الإنسانِ في سياقِ الآيةِ بأنَّه ﴿كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا﴾؛ فرمزيَّةُ الجبالِ في هذه الآيةِ تكمنُ في عظمَتِها وقوَّتِها وما هي عليه مِن ثَباتٍ ورسوخ، في مُقابلِ ضَعفِ الإنسانِ وَوَهنه، وجَهلِه، فكانَ وَصفُه بالظلمِ لكونِهِ قَبِلَها عن جَهل.بمثلِ هذا المعنى يَرِدُ ذِكرُ الجبالِ في سياقٍ قرآنيٍّ آخَر، يُخبِرُ فيه الله سبحانه وتعالى بأنَّ الجبال أكثر خشيةً لله مِن الإنسان؛ إذ امتَنَعَت عن حَملِ تلك الأمانة، يقولُ اللهُ عَزَّ وَجَلّ: ﴿لَوْ أَنْزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُتَصَدِّعًا مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ﴾[الحشر:٢١]، وليس هناك أقوى مِن الجبالِ

لوَصفِ عَظَمَةِ القُرآنِ الكريم، وثِقلِ الأمانَةِ المُناطة على مَن أنزَلَه الله عليه، حتى أنَّ الجبالَ لتَخرُّ خاشعةً ومتصدعةً مِن خشيةِ الله لو أنَّه أنزله عليها، ولكن شاءت إرادةُ الله تعالى أنِ يحملَ الإنسانَ هذه الأمانة، وهذا التكليف، فيكونُ مِنهم المؤمنينَ والكفار والمشركين، ولو شاءَ اللهُ لهداهُم أجمعين، قال تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ قُرْآنًا سُيِّرَتْ بِهِ الْجِبَالُ أَوْ قُطِّعَتْ بِهِ الأَرْضُ أَوْ كُلِّمَ بِهِ الْمَوْتَى بَل لِّلَّهِ الأَمْرُ جَمِيعًا أَفَلَمْ يَيْأَسِ الَّذِينَ آمَنُواْ أَن لَّوْ يَشَاء اللَّهُ لَهَدَى النَّاسَ جَمِيعًا وَلاَ يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُواْ تُصِيبُهُم بِمَا صَنَعُواْ قَارِعَةٌ أَوْ تَحُلُّ قَرِيبًا مِّن دَارِهِمْ حَتَّى يَأْتِيَ وَعْدُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لاَ يُخْلِفُ الْمِيعَادَ﴾[الرعد:٣١].إنَّ هذه الرمزية العظيمة الّتي جعلها الله عَزَّ وَجَلَّ في كتابه الكريم على الجبال، إنَّما هي لتقريبِ المَعاني والدلالات إلى عقولِ الناس في كُلِّ زَمانٍ وَمكان، فالجبالُ آيةٌ عظيمةٌ مِن آياتِه تعالى، ومِن المَخلوقاتِ الّتي تتقرَّبُ إليه بالعبادَةِ والسجود، قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالدَّوَابُّ وَكَثِيرٌ مِّنَ النَّاسِ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ الْعَذَابُ وَمَن يُهِنِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِن مُّكْرِمٍ إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ﴾[الحج:١٨]. في هذه الآية، استعملَ اللهُ تعالى الفعل المضارع ﴿يَسْجُدُ﴾، لما له من مناسبة في الضبط الدقيق للصورة والمعنى، وللتأكيد على أنَّ ما تُصرّح به الآيةُ قائمٌ على الدوام، الأمرُ الّذي يتجلّى مِن السياقِ التركيبي القائم في الآية على التدرج في التقديم والتأخير والعموم والخصوص، إذ تَقدَّمَ ذِكرُ اسم الله بصيغة لفظ الجلالة لكونه الخالق، ثُمَ يَرِدُ فِعلُ السجود له، لأنَّه –سبحانه– المخصوصُ وحدَه بأنْ يَسجدَ له كُلُّ شيءٍ مِن خَلقِه، ثُمَّ قَدَّمَ ﴿مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ﴾ ليكون المعنى قائمًا على الشمولِ والعمومِ لِكُلِّ المَخلوقات، أمّا التخصيصُ فكان مَدلولًا عليه بتأخير ذِكرِ ﴿الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ وَالْجِبَالُ﴾؛ لِعلوّهنَّ وارتفاعهنَّ، ولأنَّهنَّ الأكثر ظهورًا ووضوحًا للرؤية لدى الإنسان من بين سائر المخلوقات التي ذكرها الله تعالى بعد ذلك على وجه التخصيص بقوله: ﴿وَالشَّجَرُ وَالدَّوَابُّ وَكَثِيرٌ مِّنَ النَّاسِ﴾.لقد جاءَ ذِكرُ الجبالِ في سياقٍ قرآنيّ يَحثُّ على الرؤيةِ والتفكّرِ والتأمّل، ولأنَّ كثيرًا مِن البشرِ يعبدون الشمسَ والقمرَ والنجومَ، ذُكِرَت الجبالُ بَعدَها لاشتراكِها مع تلك الأجرامِ السماويَّةِ في صِفَةِ العلوّ والارتفاع، وهكذا، فإنَّ رمزيةَ الجبال أينما ذُكِرَت في مُختَلَفِ السياقاتِ القرآنيَّةِ لا تنفصلُ عن ماهيَّتها وطبيعتِها، وسيتَّضحُ هذا بشكلٍ أوضح عند دراسةِ وتَحليلِ دلالاتِ السياقاتِ القرآنيَّةِ الأخرى الّتي يَرِدُ فيها ذِكرُ الجبالِ والألفاظِ الدالّةِ عليها.

ثانيًا: السياق الدال على وظائف الجبال وأوضاعها وأحوالها

في سياقاتٍ قرآنيَّةٍ أخرى يَرِدُ ذِكرُ الجبالِ باعتبارِ وظائفِها بالنسبَةِ إلى الأرضِ كُلّها، وإلى الأوضاعِ والأحوالِ الّتي تكونُ فيها وعليها بالنسبَةِ إلى تلك الوظائف، إذ يكشفُ القرآنُ الكريمُ عن حقائق أثبتَها العلمُ الحديث لتُبرهنَ تلك الحقائقُ على دِقَّةِ الألفاظِ والتعبيراتِ القرآنيَّةِ المُتعلِّقَةِ بهذا الشأن، وصدورها عن خالق هذا الكون، والعالم بأسراره.تُعَدُّ الوتدية مِن أهَمّ الوظائف الّتي تقومُ بها الجبالُ بالنسبة إلى الأرض، قال تعالى: ﴿أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ مِهَاداً* وَالْجِبَالَ أَوْتَاداً﴾[النبأ:٦–٧]، فقد جاءَ ذِكرُ الجبالِ في خطابٍ بلاغي قائمٍ على التشبيه: (الأرض مهادًا/الجبال أوتادًا)، إلّا أنَّ الأمرَ مِن الناحيةِ الدلاليةِ والسياقيةِ ليس مُجرَّد تصوير بلاغي فحسب، بل هو وَصفٌ دقيقٌ لوظيفَةِ الجبال في الأرض؛ يتبيّن ذلك مِن تحديدِ معنى الأوتاد، والوظيفة الّتي تقومُ بها الأوتاد بالنسبةِ إلى الخيمةِ وغيرها، وهي وظيفةُ التثبيت، وهذا ما أدركه المُفَسّرون، فقالوا: والجبالُ للأرضِ أوتاد؛ لئلّا تميد بكم، أي ثبّتناها بالجبال كما يُثَبَّت البيتُ بالأوتاد، لتسكن ولا تتكفأ ولا تميل بأهلها، فالله تعالى ثَبَّتَ الأرضَ بالجبالِ وقَرَّرَها حتى سَكَنَت ولم تضطربْ بمن عليها[٨٥]، ومِن دِقَّةِ السياقِ القرآني في تَشكيلِ هذه الدلالة، أنْ جاءَ ذِكرُ الجبالِ بعد ذِكرِ الأرضِ الّتي جعلَها اللهُ مِهادا، أي خاليةً مِن الأشياء، كالمَهدِ الّذي يُعَدُّ للصبي[٨٦]، ولكي لا تهتز وتميد بما فيها جعلَ الجبالَ لها كالأوتاد، قال الراغبُ الأصفهاني في معنى المِهاد: المَكانُ المُمَهَّد المُوَطَّأ[٨٧]، ولكي يكون هذا المعنى دقيقًا حُذِفَت أداةُ التشبيه (الكاف)، فكان الخطابُ قائمًا على التقريرِ في سياقٍ بليغٍ قائمٍ على التشبيه.يتبيَّنُ مِن ذلك، أنَّ استعمال لفظ (أوتادًا) لوصفِ وظيفةِ الجبالِ في حِفظِ استقرارِ الأرضِ وثباتِها، كان أكثر دِقَّةً مِن الناحيتَين اللغويَّةِ والعلمية مِن كلماتٍ أخرى تستعملها لغة العلم اليوم، كمُصطلح (جذر)، فالجبالُ مغروزَةٌ في الأرضِ كالأوتاد[٨٨]. تتَّضح دِقَّةُ هذه المعاني في سياقاتٍ قرآنيَّةٍ أخرى، استعملَ القرآنُ فيها لفظيّ (أرساها/ رواسي) للتعبير عن وظيفةِ الجبالِ في آياتٍ قرآنيَّةٍ مُتَعَدِّدَة، وهما لفظان قرآنيان لهما دلالاتهما الدقيقة والعميقة، الّتي تكشفُ عنها السياقات الّتي وَرَدا فيها.قال تعالى في آياتٍ وسياقاتٍ مُتفرقة: ﴿ وَالْجِبَالَ أَرْسَاهَا﴾[النازعات:٣٢]، ﴿وَهُوَ الَّذِي مَدَّ الْأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْهَارًا ﴾[الرعد:٣]، ﴿وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ﴾[الحجر:١٩]، ﴿وَأَلْقَى فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ وَأَنْهَارًا﴾[النحل:١٥]، ﴿وَجَعَلْنَا فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِهِمْ﴾[الأنبياء:٣١]، ﴿أَمَّنْ جَعَلَ الْأَرْضَ قَرَارًا وَجَعَلَ خِلَالَهَا أَنْهَارًا وَجَعَلَ لَهَا رَوَاسِيَ﴾[النمل:٦١]، ﴿وَأَلْقَى فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ﴾[لقمان:١٠]، ﴿وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ مِنْ فَوْقِهَا وَبَارَكَ فِيهَا﴾[فصلت:١٠]، ﴿وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ﴾[ق:٧].بتأمّل هذه الآياتِ والسياقات الّتي جاءت فيها لفظة (رواسي)، يتبيّن أنَّ ذِكرَ هذا اللفظ قد ارتبط بمجموعةٍ مِن الألفاظِ الّتي تتآزَرُ مع بعضِها البعض في السياقِ

الواحد، وتتكامل جميعًا في السياقِ القرآني الّذي وَرَدَت فيه لتُعطي دلالةً دقيقةً لمعنى الرواسي، وتتحدَّدُ هذه الألفاظُ بكُلِّ مِن: (مدَّ/مَدَدناها، جعل/جعلنا، ألقينا/ألقى، تميد، قرارًا)، وتتوزَّعُ هذه الألفاظ في مجموعَتَين بالنسبةِ إلى كُلٍّ مِن (الجبال/الرواسي والأرض)، إذ استعملَ اللهُ سبحانه وتعالى لفظ (جَعَلَ) ويعني: صنع وخلق وصيَّر[٨٩]، واللفظ (ألقى) يعني: طرح ونبذ، ألقى الشيء: طرحه[٩٠]، والّتي تَدلُّ على كيفيةِ خلقه للجبال/الرواسي.ومِن السياقاتِ الّتي يَرِدُ فيها اللفظان (جعل وألقى)، يتبيَّن أنَّ دلالةَ (جَعَلَ) تأتي على العموم، أمّا دلالةَ (ألقى) فتأتي على الخصوص، فجعل الجبال في الأرض هو المعنى العام، وكان الإلقاء للجبال في الأرض هو المعنى الخاص الّذي يَدلُّ على خصوصيَّةٍ شديدةٍ أوْلاها اللهُ سُبحانَه وتعالى في خَلقِ الجبالِ لتكون لها وظيفة بالغة الأهمية بالنسبةِ إلى الأرض، الأمرُ الّذي تكشفُ عنه السياقات الّتي استُعمِلَ فيها اللفظُ (مَدَّ)، ويعني: بَسَطَ[٩١]، واللفظُ (قرارًا) مِن الفعل (قَرَّ)، ويعني: ثَبَتَ واستَقَرَّ وسَكَن[٩٢]، اللذان يدلّان على الصفةِ الّتي جَعَلَ اللهُ تعالى الأرض عليها، إذ مَدَّها وَبَسَطَها وَجَعَلَها ثابتةً ومُستقرّة، وهذا الثباتُ والاستقرارُ ناتجٌ عن الوظيفةِ الّتي خَلَقَ اللهُ الجبالَ لأجلِ القيام بها، فالجبالُ تعمَلُ عَمَلَ الرّواسي في تثبيتِ الأرض، وهذا ما يَدلُّ عليه اللفظ (تَميد)، وهو في اللغة: مِن مادَ الشَّيءُ يَميدُ مَيْداً: تَحَرَّك، والمَيدُ: هو الذهابُ والمَجيءُ والاضطراب[٩٣]، وهذا أيضًا ما يُشير إليه تقديمُ مَدِّ الأرضِ على إلقاءِ الرواسي في الآياتِ الثلاث.لقد كان السياقُ التركيبي للآيات الّتي وَرَدَ فيها ذِكرُ الرواسي بالغًا في الدِقَّةِ والإحكام لإيصال المعنى والدلالة بالنسبة للوظيفة الّتي تقومُ بها الجبالُ في حِفظِ استقرارِ الأرضِ وثباتها، كما تكشفُ هذه السياقاتُ عن العَلاقَةِ الدلالية الوثيقةِ بين لَفظَي (الجبال والرواسي)، فهُما لفظانِ مُتَّحدانِ في الدلالةِ بالنسبةِ إلى تحديدِ ماهيَّةِ الجبالِ والرواسي، أي أنَّهما مُتماثلان ومُتّفقان دلاليًا، ولكن استعمال كُلٍّ مِنهما في سياقٍ مُغايرٍ يُعزى إلى أنَّ كُلًّا مِنهما يُعَبِّرُ في السياقِ الّذي يَرِدُ فيه عن معنىً مُعَيَّن، فإذا ذُكِرَت الجبالُ فإنَّها تُؤَدّي مَعنى العلوّ والارتفاع، وإذا ذُكِرَت الرّواسي فإنَّ دلالَتها في السياقِ تُحيلُ إلى مَعنىً آخَر، وهو الثباتُ وعدم الاضطراب.بالإضافَةِ إلى ما تَقَدَّم، يَرِدُ ذِكرُ الجبالِ في سياقاتٍ قرآنيَّةٍ تدلُّ على أحوالِها وأوضاعِها مِن الحركةِ والسكونِ والألوان، يقولُ اللهُ سبحانه وتعالى: ﴿وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ﴾[النمل:٨٨]، وقد أثبَتَ العلمُ الحديثُ هذه الحقيقة، فالجبالُ ليست كما تبدو في الظاهرِ كتلةً جامدةً لا حراك فيها، بل هي بالفعل غير ثابتة ولها حركةٌ مُحَدَّدَةٌ تَتبَعُ حَرَكَةَ الأرضِ في دَورانِها حولَ نفسِها[٩٤]، ولأنَّ حركتَها هذه بطيئةٌ إلى حَدٍّ لا يُمكنُ معه إدراكها، فإنَّ اللهَ سبحانه وتعالى يصفُ حركةَ الجبالَ بأنَّها تَمُرُّ مَرَّ السحاب، وهذه الدلالة الدقيقة ما كانت لتتكشَّف وتثبت إلّا عن طريقِ السياق الخارجي الذي تَحَدَّدَ بنتائجِ الدراساتِ العلميةِ الحديثةِ لأحوالِ الجبال، الّتي جاءت تصديقًا لقوله تعالى في الآية نفسها: ﴿صُنْعَ اللَّهِ الَّذِي أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ إِنَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَفْعَلُونَ﴾، ودليلًا على أنَّ هذا الكتاب لا تنقضي عجائبه، وأنَّه وأحكامه صالحان لِكُلِّ زمانٍ ومكان.ويُخبرُ اللهُ عَزَ وَجَلَّ عن ألوانَ الجبال، يقول تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ ثَمَرَاتٍ مُخْتَلِفاً أَلْوَانُهَا وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ﴾[فاطر:٢٧]، ففي هذه الآية يُخبرُنا اللهُ سبحانه أنَّ مِن الجبالِ (جُدَدٌ وَغَرَابِيبُ)، ولكي تتبيَّن دلالة هذين اللفظين بالنسبة إلى السياقِ الّذي يَرِدُ فيه ذكرها بأنَّها (مِنَ الْجِبَالِ)، فالجُدد في اللغة، من (الجُدَّ)، وهو الكساء المُجَدَّد فيه خطوطٌ مُختلفة[٩٥]، وجُدَدٌ جمع، مفردها (جُدَّة)، أي طرائق تخالف لون الجبل، وكأنَّها تكتسي حُلَلًا جديدةً ذات ألوانٍ مُختلفَةٍ ومُتعددَّةٍ، فالجُدد هي الخططُ والطرق، تكون في الجبال خططٌ بيضٌ وسودٌ وحمر[٩٦]؛ أمّا (غرابيبُ سود) في اللغة، فهي جمعُ غربيب، وهو الأسود، مُشتَقٌّ مِن لونِ الغراب، أي شديدةِ السواد[٩٧].يُشيرُ بعضُ الباحثين إلى أنَّ دلالة هذه الآية تتبيّنُ مِن السياقِ الخارجي لها، وبالتحديد مِمّا كشفَ عنه العلمُ الحديث مِن أنَّ الجبالَ، وبسببِ تركيبتها المُختلفةِ مِن الناحيةِ الكيميائيةِ والمَعدنية، تظهرُ عليها خطوط باللونَين الأبيض والأحمر بدرجاتٍ مُتفاوتة، وهذا ما يَدلُّ عليه استعمال القرآنِ الكريم لعبارة (مُختَلفٌ ألوانُها) بعد (بيض وحمر)، كما أنَّ مِن الجبالِ ما تكون مائلةً في لونِها إلى السواد، وهذا ما يَتَّفِقُ مع استعمال القرآن الكريم للفظِ (غرابيب)[٩٨].يتبيَّن مِمّا تَقَدَّم، أنَّ دلالةَ الجبالِ والألفاظ الدالة عليها في الآياتِ القرآنيَّةِ لا تَتَّضحُ بدقَّةٍ مُتناهيةٍ إلّا بدراسَتِها في ضوءِ النظرية السياقية، وذلك برَدِّها إلى السياقِ الداخلي للآياتِ القرآنيَّةِ نفسِها على المُستوى اللغوي، وكذلك إلى السياقِ الخارجي الّذي يَتَحَدَّدُ في هذا المجالِ بالحقائقِ الّتي كشفَ عنها العلم الحديث، وطابقت ما جاء به القرآن الكريم.

ثالثًا: السياق الدال على فوائد الجبال ومنافعها للإنسان والمخلوقات

أشارَ القرآنُ الكريم في مواضع عديدة إلى بعضِ الفوائد والمنافع الّتي تُقدّمها الجبال للإنسان وغيره مِن المخلوقات، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِمَّا خَلَقَ ظِلَالًا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنَ الْجِبَالِ أَكْنَانًا﴾[النحل:٨١]، وتتحدد المنفعة المذكورة في هذه الآية بلفظ (أكنانًا)، وهو في اللغة من (كنَّ): كنَّ الشيءُ كنونًا: استتر[٩٩]، فالأكنان تعني أستارًا تقي الناسَ مِن المَخاطرِ الّتي تُحيطُ بِهم.ويتّضح المعنى السابق بشكلٍ أكثر بوساطةِ ما يدلُّ عليه ذِكرُ الجبال في آياتٍ قرآنيَّةٍ أخرى، تشير إلى استفادة الإنسان من الجبال في بناء البيوت، بل ويخبرُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ عن

أقوامٍ كانت تنحتُ من الجبال بيوتًا، فكانوا فيها آمنين وفارهين، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿تَتَّخِذُونَ مِنْ سُهُولِهَا قُصُورًا وَتَنْحِتُونَ الْجِبَالَ بُيُوتًا﴾[الأعراف:٧٤]، وقوله: ﴿وَكَانُوا يَنْحِتُونَ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا آمِنِينَ﴾[الحجر:٨٢]، وكذلك في قوله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَتَنْحِتُونَ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا فَارِهِينَ﴾ [الشعراء:١٤٩].ولم يقتصرْ ذلك على الإنسان، بل جَعَلَ اللهُ تعالى الجبالَ فائدةً لسائرِ مَخلوقاتِه، ومِن ذلك قولُه تعالى: ﴿وَأَوْحَى رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنِ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا﴾[النحل:٦٨].المُلاحَظ في الآيات القرآنية السابقة أنَّها استعملت لفظ (الجبال) بصيغة الجمع، ولم تستعمل صيغة المفرد (جبل)، كما لم تستعمل ألفاظًا أخرى دالّة على الجبال كالرواسي والأوتاد، وهذا بحُكم الدلالة المُراد إيصالها عن طريقِ السياق نفسه، فلفظ الجبال من حيث العموم دون تخصيص جبلٍ بعينه دالٌّ على منافعِ الجبال وفوائِدِها على الشمول، هذا من ناحية، ومن ناحيةٍ أخرى لأنَّ دلالة الجبال تُحيلَ إلى معنى العلو والارتفاع، وهذا المعنى يتناسب مع دلالة الألفاظ الأخرى المجاورة لها في السياق: (الأكنان بمعنى الأستار، والبيوت الآمنة، البيوت الفارهة)، فحينما كان الخطاب مُوَجَّهًا إلى الإنسان استعمل القرآنُ ألفاظ (تنحتون/ينحتون) الّتي تتناسب مع لفظِ الجبال، أمّا عندما وَجَّه الخطابُ إلى النَّحل، فقد ظهر في السياق لفظ (اتخذي)، لأنَّ بمقدورِ النحلِ أنْ تتخذَ مِن أي مكانٍ في الجبالِ بيوتًا لها، مِن دون أنْ يستدعي ذلك قيامَها بفعلٍ يؤدّي إلى إحداثِ تغييرٍ في شكلِ الجبال كما هو شأنُ النحت، ولأنَّ النحت مِن فعلِ البشر، ينحتون الجبال أي يقطعونها ويُشكّلونَها كيفما كان مُناسبًا لهم(١٠٠).أي أنَّ لفظَ الجبالَ بإطلاقَه مِن دون تقييد في هذا السياق يُشيرُ إلى إمكانية تحويل أي جبلٍ إلى بيت، سواءٌ سكنه الإنسانُ أو غيرُه مِن المخلوقات، وفيما يخصُّ الإنسان فإنَّ مجموعةً بشريةً بعينها كانت تتخذُ مِن الجبالِ بيوتًا، وهذا دليلٌ على قوّتهم وتمكّنهم ماديًّا ومعنويًّا، إلّا أنَّ قوّتهم وإمكاناتهم وكذلك الجبال الّتي اتّخذوها مساكن لهم لم تُنجِهم مِن غضبِ الله حينَ أشركوا به وعاندوه، ومِن ثَمَّ يُعَدُّ ذلك دليلًا على قُدرةِ الله الّتي لا يُعجِزُها شيء.

رابعًا: الجبال في سياق القصص القرآني (المعجزات، التشبيه وضرب الأمثال)

يُعَدُّ القَصَصُ القرآني مِن أهَمّ السياقات القرآنية الّتي وَرَدَ فيها ذِكرُ الجبال، مُتَّصلةً ببعضِ الأحداثِ الّتي وَقَعَت لبعضِ الأنبياءِ عليهم السلام، أو مُتَّصلَةً ببعضِ المُعجزاتِ الّتي خَصَّهم اللهُ تعالى بها، ومِن ذلك قولُه تعالى: ﴿إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن قَالَ بَلَى وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ اجْعَلْ عَلَى كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا وَاعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾[البقرة:٢٦٠]، وقد استعملَ اللهُ تعالى لفظ (جبل) نكرةً ليدلّ على أنَّه لم يقصد جبلًا بعينه، بل مجموعة جبال مُتفرّقة تضمّ أجزاء الطيور؛ لأنَّه – في الحالة الطبيعية– لا يستطيعُ أحد أنْ يجمع تلك الأجزاء المُتناثرة على قِمَمِ الجبال، فضلًا عن بَثّ الروحِ فيها، فذلك أمرٌ صعبٌ، بل مُستحيل إلّا على الله القادرِ على كُلِّ شيء، ومِنها إحياءِ المَوتى. كما أنَّ هذه الآية تدلُّ مِن ناحية السياقِ الخارجي على أنَّ النبي إبراهيم عليه السلام كان يعيش في بيئةٍ جبلية.وفي سياقٍ آخَر يتعلَّقُ بالنبي موسى عليه السلام، يقول تعالى: ﴿وَلَمَّا جَاءَ مُوسَىٰ لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنظُرْ إِلَيْكَ قَالَ لَن تَرَانِي وَلَٰكِنِ انظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ سُبْحَانَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ﴾[الأعراف:١٤٣]، وفي سياقٍ آخَر مِن السورةِ نفسِها يَرِدُ ذِكرُ الجبلِ بما يَدلُّ على أنَّه الجبلُ نفسُه المقصودُ في الآيةِ السابقة، وذلك في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ نَتَقْنَا الْجَبَلَ فَوْقَهُمْ كَأَنَّهُ ظُلَّةٌ وَظَنُّوا أَنَّهُ وَاقِعٌ بِهِمْ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُم بِقُوَّةٍ وَاذْكُرُوا مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾[الأعراف:١٧١]، في الآيةِ الأولى جاء لفظ الجبل في سياقٍ لغوي يُستَدَلُّ به على عظمَةِ الله، فبتجلّيه سُبحانه للجبل الّذي هو أعظم المخلوقات الأرضيّةِ قوّةً هُدِمَ وصار دَكًّا، فبانت عظمَةُ الله عَزَّ وَجَلَّ لنبيه موسى فَخَرَّ صَعِقًا، وعرَفَ استحالة رؤيةِ الله سبحانه، فهو ليس بجسمٍ ليُرى في الأبصار، بل تراه البصائر المُستنيرة؛ لذلك استغفر موسى ربَّه. وفي الآيةِ الأخرى يأتي لفظ الجبل في سياقِ تذكير بني إسرائيل بأنعمِ الله، ومِن بينها الجبلَ الّي يُظِلّهم، عسى أنْ تكون هذه الآيات وتلك الأنعم كافيةً لإقناعهم باتّباع أنبيائهم وإطاعةِ رَبّهم. وقد ذَكَرَ اللهُ تعالى هذا الجبلَ في آياتٍ قرآنيةٍ عديدةٍ باسمه، مثل: (جبل الطور، وطور سيناء، وطور سينين)(١٠١)، وهو الجبلُ الّذي ذُكِرَ على وَجهِ التخصيصِ أكثرَ مِن غيرِه؛ نظرًا لتَكرارِ ورودِ قصّةِ النبي موسى عليه السلام مع قومِه مِن بني إسرائيل أكثرَ مِن غيرِها مِن قَصَصِ الأنبياءِ في القرآنِ الكريم، وقد دَلَّت السياقات الّتي وَرَدَ بها اسمُ هذا الجبل على تعظيمِهِ وتكريمِه، إلى درجةِ أنْ يَقسمَ به الله سبحانه وتعالى، كما أنْ ذِكرَ هذا الجبل باسمه فيه تذكيرٌ لبني إسرائيل بالنِّعَمِ الّتي حباهُم اللهُ بها وأنَّه اصطفاهم على العالَمين، فدَلَّ تكرارُهُ على عِنادِ هؤلاء القوم وتنكّرهم لأنعمِ الله، وكفرهم به، حتى وإنْ كان الشاهدُ على تلكم النِّعَم جبلٌ شاهِقٌ يرونَه أمامَهم ويُذَكِّرُهم بقصّةِ نبيهم. ومِن سياقاتِ القَصَصِ القرآني ما يَرِدُ فيها ذِكرُ تَسخير الله سبحانه وتعالى الجبالَ لنبيّه داوود عليه السلام، في قوله تعالى: ﴿وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُودَ الْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَالطَّيْرَ﴾[الأنبياء:٧٩]، وقولُه تعالى: ﴿إِنَّا سَخَّرْنَا الْجِبَالَ مَعَهُ يُسَبِّحْنَ بِالْعَشِيِّ وَالْإِشْرَاقِ﴾[ص:١٨]، وقولُه عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُودَ مِنَّا فَضْلًا يَا جِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُ وَالطَّيْرَ﴾[سبأ:١٠].لقد كان استعمال ألفاظ (جبال/ الجبال) في آياتِ قصّةِ نبي الله داوود عليه السلام مناسبًا

لسياقاتِها، حيثُ الجبالُ على عظمتِها الّتي يتصاغرُ الإنسانُ إزاءها تُسَبّحُ بِحَمدِ الله، بل يجعلَها الله بقُدرَته بيَدِ عبدٍ مِن عَبيدِه، ومِن ثَمَّ فإنَّ مَن سَبَّحَت الجبالُ بحمدِه، ومَن سَخَّرها لوليٍّ مِن أوليائِه هو أولى بالطاعَةِ والتفرّد بالعبوديّةِ له مِن دونِ شريك.وفي آياتٍ أخرى يُشار إلى الجبلِ باستعمالِ لفظ (ربوة)، وذلك في قِصَّةِ المسيحِ عليه السلام وأمِّه، إذ يقول تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ آيَةً وَآوَيْنَاهُمَا إِلَىٰ رَبْوَةٍ ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ﴾[المؤمنون:٥٠]، واستعمال لفظ ربوة يتناسب مع ما كان يحتاج إليه المسيح ووالدته مِن مكانٍ آمنٍ تتوفَّرُ فيه أسبابُ العيشِ بعد خروجِهما مِن ديارِهما، وهذا ما يدلُّ عليه استعمال الفعل (آويناهما)، ووصف الربوة بأنَّها (ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ)، فهي مُستويةٌ منبسطةٌ واسعة، يَستقِرُّ عليها ساكنوها، وهي ذات معين، وهو الماء الجاري المُتوفر باستمرار وبدون انقطاع، ولَمّا كانت الربوة لغةً تدلُّ على هذه الصفات استعملها اللهُ سُبحانه في هذا السياق؛ لأنَّ مريم وابنها عيسى عليهما السلام أحوج ما يكونان إلى هذه النِّعَم، ففي استعمال هذا الاسم المُرادف ما يُعطي الاطمئنان النّفسي لهما. وما يؤكّد أنَّ لفظ ربوة يحمل هذه الدلالات الّتي احتاجها السياق في قصّة مريم وعيسى عليهما السلام، أنَّ هذه اللفظة وردَت في آيةٍ أخرى تدلُّ على أنَّ الربوة تتَّصفُ بسماتٍ تجعلُ مِنها مَكانًا مُناسبًا للعيشِ الآمنِ والرّغيد، وهي قولُه تعالى: ﴿كَمَثَلِ جَنَّةٍ بِرَبْوَةٍ أَصَابَهَا وَابِلٌ فَآتَتْ أُكُلَهَا ضِعْفَيْنِ﴾[البقرة:٢٦٥]، إذ استعملَ اللهُ سبحانه وتعالى لفظ (جنة)؛ لتدلَّ على تلك المعاني، كما أنَّ هذه الجنة تأتي بالخير مُضاعفًا حين يسقيها المطر. ومِمّا يدخلُ في نطاقِ رمزيةِ الجبالِ في القرآنِ الكريم، ذِكرُها في مَقامِ التشبيهِ بِها في سياقاتٍ قرآنيةٍ مُتعدِّدَة، وبألفاظٍ مُتعدِّدَةٍ تَدلُّ عليها، ومِن ذلك تشبيه السّحب الركاميّة الّتي ينزلُ مَنها المَطرُ والبَرَدُ بالجبالِ في قولِه تعالى: ﴿وَيُنَزِّلُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ جِبَالٍ فِيهَا مِنْ بَرَدٍ﴾[النور:٤٣]، كما يُشَبِّه اللهُ تعالى أمواجَ الطوفانَ الّتي كانت تجري فيها سفينَةُ نوحٍ بالجبال، في صورةٍ بالغة التأثير، تدلُّ على عظمةِ الحَدَث، وارتفاع الماء الّذي غَمَرَ الأرض، حيث يقول تعالى: ﴿وَهِيَ تَجْرِي بِهِمْ فِي مَوْجٍ كَالْجِبَالِ﴾[هود:٤٢]. وفي هاتَين الصورَتَين التشبيهيتَين لم تخرج دلالة لفظ الجبل عن دلالته الغالبة في القرآن الكريم، وهي ارتباطها بالعظمةِ والارتفاع، وربطها جميعًا ببيان عظمَةِ الله وكثير آلائه، وكبيرِ قدرتِه.ويَرِدُ في القرآنِ الكريم اسمٌ آخَر للجبل، وهو (الأعلام)، أي الجبالُ المُرتفعةُ الّتي تَهدي للطريق، وذلك في قوله تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ الْجَوَارِ فِي الْبَحْرِ كَالْأَعْلَامِ﴾[الشورى:٣٢]، وقوله تعالى: ﴿وَلَهُ الْجَوَارِ الْمُنْشَآتُ فِي الْبَحْرِ كَالْأَعْلَامِ﴾[الرحمن:٢٤]. والأعلامُ هنا تشبيهٌ للسُفُنِ الّتي تَجري في البحر، وقد انتخبَ القرآنُ الكريم هذا الاسم للجبلِ في هذا السياقِ دون غيرِهِ مِن الأسماء لأنَّ العربَ يُسمّون الجبلَ علمًا حين يجعله المُسافرُ مِنهم دليلًا وأمارَةً على الطريق، والسفنُ في البحرِ عاليةٌ كالجبالِ، وهي أمارةٌ ودليلٌ على آلاءِ الله وأفضالِهِ على الناس، حيث حمَلَهم في البرّ والبحر، وكفلَ لهم رزقَهم فيهما، كما أنَّ تشبيه السفنِ بالأعلام/الجبال العالية، فيه بيان لعظمَة الخالق الّذي خلقَ البحرَ وجعلَه قادرًا على حَملِ تلك السُّفن مهما كَبُرَ حَجمُها وزاردَ عَدَدُها. وفي تشبيهٍ آخَر، يَرِدُ ذِكرُ الجبال باستعمالِ لفظِ (الطود) موصوفًا بالعظيم، إذ يقول تعالى: ﴿فَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنِ اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْبَحْرَ فَانْفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ﴾[الشعراء:٦٣]، وفي هذا تشبيه بليغ يصف لحظة انفلاق البحر بعصا موسى عليه السلام، يتناسب وعظمة المعجزة التي أيد الله بها نبيه، فالطودُ هو الجبل العظيم، ومنه يقال جبل منطاد :مرتفع في الجو وسمي المنطاد منطادا لهذا لأنه يرتفع في الهواء(١٠٢) وجاءت كلمة (الطود) مناسبة لبيان المعجزة الكبرى حيث انفلق البحر على نصفين كل نصف كأنه جبلٌ عظيم في ارتفاعه وضخامته وعظمته فالطود :الجبل العظيم المنطاد في السماء ، كما فيه بيان لنعمة الله على بني إسرائيل، تلك النعمة الّتي أنكروها كسائر النِّعَم، حتى أنَّهم عادوا لكُفرِهم بعد أنْ عَبروا البحر، وهذا دليلٌ على عِنادِهم ونكرانِهم لأفضالِ اللهِ وأنبيائِه عليهم.يَتبيَّنُ في ضَوءِ ما سَبَقَ أنَّ ذِكرَ الجبالِ في القَصَصِ القرآني جاء في سياقاتٍ مُتعدِّدَة، تَضَمَّنَت استعمال الألفاظِ المُناسبة لِما تَدلُّ عليها، وتتناسب مع السياقاتِ الّتي تَرِدُ فيها، والّتي تَهدِفُ إلى العِظَةِ والعِبرة، والتصويرِ البليغِ الّذي تَصِلُ به المعاني والدلالاتُ بوضوحٍ إلى ذهنِ القارئ للقرآنِ الكريم، والّتي كان للسياقِ أثَرٌ قويٌّ في بيانِها وجلائِها.

خامسًا: السياق الدال على مصير الجبال ونهايتها:

كثيرًا ما وَرَدَ ذِكرُ الجبالِ في آياتٍ قرآنيةٍ مُتصلَةٍ بما يُخبِرُ الله تعالى عنه مِن أحداثِ يومِ القيامة، مِنها ما يتعلَّقُ بمصير الجبال وما سيكون إليه مآلها عند قيام الساعة، ومِن ذلك قولُه تعالى: ﴿وَيَوْمَ نُسَيِّرُ الْجِبَالَ وَتَرَى الْأَرْضَ بَارِزَةً وَحَشَرْنَاهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا﴾[الكهف:٤٧]، وقولُه تعالى: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْجِبَالِ فَقُلْ يَنْسِفُهَا رَبِّي نَسْفًا﴾[طه:١٠٥]، وفي هذه الفئة مِن الآياتِ استعملَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ اسم الجبل دون غيره من الأسماء الرديفة له، واستعملَ في السياقِ ذاته ألفاظًا توحي بهولِ ما سيكون عليه مصير تلك الجبال، مُتسقةً مع سياقِ الوعيد الإلهي بما سيكون عليه مَصيرُ الكُفّارِ والمشركين، ومِن تلك الألفاظ: (النَّسف، الدّكّ، الرّجف، البسّ)، فضلًا عن تشبيه الجبال في حالِ نَسفِها ودَكِّها بالعهن، والعهن المنفوش، والكثيب، والسراب(١٠٣)، أي أنَّ الجبال على عظمتها سيدكّها اللهُ ويجعلها كثيبًا أو قاعًا صفصفًا، والقادرُ على مثل هذا الفعل قادرٌ بلا شَكّ على إحياء الموتى ومحاسبتهم، ومِن ثَمَّ يجبُ الاتعاظ والإيمان بالله جَلَّ في عُلاه.

الخاتمة

في ضوءِ ما تَقدَّم، يُمكن صياغة مجموعة مِن النتائجِ الّتي خَلُصَ إليها هذا البحث على النحو الآتي:

١.إنَّ السياق هو الوسيلة الوحيدة لضبط المعاني وتحديد الدلالة ولاسيما فيما يخصّ الألفاظ المُترادفة.

٢. تُعدُّ النظرية السياقية مِن مُبتكرات الدرس اللغوي الغربي الحديث، ولاسيما في المدرسة اللغوية اللندنية وزعيمها (فيرث).

٣. أدرك العلماء العرب القُدامى أهميّة السياق، وعَرَفوا مفهومه، لكنَّهم لم يذكروه في مُصنّفاتهم بهذا الاسم، بل درسوه تحت اسم (المقام)، وعَبّروا عن مَفهومه بتعبيراتٍ مُتعدِّدَة، مِنها: (المقام، والحال، والقرينة، والدليل، والموقف، والمُشاهَدة)، وإنْ كان حديثهم عن تلك المفاهيم لا يختلف عن مفهوم السياق في الدرس اللغوي الحديث.

٤. تفاوتَت إسهامات العلماء العرب في الحديث عن أهمية السياق، وكان عبد القاهر الجرجاني أكثرهم نضجًا في التنظير لأهمية السياق وبيان أثره في إسباغ المعاني على الألفاظ وتحديد دلالاتها، وذلك في نظريته الشهيرة (نظرية النَّظم).

٥. تَعدّد الألفاظ الدالّة على الجبالِ في القرآنِ الكريم، والصيغِ الّتي تَرِدُ بها تلك الألفاظ مِن حيث الإفراد والجمع، والتعريف والتنكير، والتذكير والتأنيث، وتتمثل تلك الألفاظ في: جبل/ جبال، رواسي، أوتاد، أعلام، طود، ربوة.

٦. تعدَّدت السياقاتُ القرآنية الّتي وَرَدَ فيها ذِكرُ الجبال تبعًا لتَعدُّدِ الدلالاتِ الّتي تُحيلُ إليها الألفاظُ الدالّةُ عليها، فكان مِنها سياقاتٌ دالّة على ماهيّةِ الجبال، وأخرى تَدلُّ على وظائفِها، وسياقاتٌ أخرى تَدلُّ على فوائدِها ومَنافعِها، فَضلًا عن ذِكرِ أعلامٍ جغرافيَّةٍ مِنها.

٧. هناك عَلاقة دلاليَّة قائمَة على التّماثلِ في تَحديدِ ماهيَّةِ الجبال، وتشتركُ بها جميعُ الألفاظِ الدالّةِ على الجبالِ في القرآنِ الكريم، وأنَّ التباينَ والاختلافَ في معاني هذه الألفاظ لا يَظهَرُ إلّا بوساطَةِ السياق.

٨. للسياقِ أثرٌ بالغٌ في تحديدِ مَعاني الألفاظِ الدالّةِ على الجبال، وفي اختيارِ اللفظِ المُناسبِ مِن بين الألفاظِ الدالّةِ عليها، فحيثُما يكونُ السياقُ دالًا على العلوِّ والارتفاع استعملَ لفظ (جبل/ جبال)، وحينما يكونُ السياق دالًا على الثباتِ والرسوخِ استعملَ لفظ أوتاد أو رواسي.

٩. استعملَ القرآنُ الكريمُ لفظَ (الأعلامِ) و(الطودِ) بوصفِها ألفاظًا دالّةً على الجبالِ في السياقاتِ الّتي يكونُ فيها ذِكرُ الجبالِ قائمًا على التشبيه بها، بما يَدلُّ على عظمتِها وارتفاعها الشاهق، في حين استعملَ لفظ (ربوة) في السياقاتِ الدالّةِ على المَكان المُرتفعِ الآمنِ، الّذي تتوفَّر فيه أسبابُ الحياةِ الآمنَةِ المُستقرّة.

١٠. في الغالب، كانت الغاية مِن ذِكر الجبال في سياقاتِه المُختلفة بيان عظمةِ الله وقدرته، والتّذكير بنعمه وآلائه، في قِبالِ ضَعفِ الإنسانِ وهوانِه ونكرانه.

المصادر

١. أدب الكاتب: أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري ، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة التجارية، مصر، ط٤، ١٩٦٣م.

٢. أساس البلاغة: الزمخشري، تحقيق: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٩٩٨م.

٣. أسرار البلاغة: عبد القاهر الجرجاني، قرأه وعلّق عليه: محمود محمد شاكر، مطبعة المدني، القاهرة، (د.ط)، (د.ت).

٤. الأضداد في اللغة: محمد بن القاسم الأنباري، اعتنى به: الشيخ محمد عبد القادر الرافعي والشيخ أحمد الشنقيطي، المطبعة الحسينية المصرية، (د.ط)، (د.ت).

٥. إعراب القرآن: أحمد بن محمد بن إسماعيل بن يونس المرادي النحاس، تحقيق: زهير غازي زاهد، مكتبة النهضة العربية، القاهرة– مصر، ط٢، ١٤٠٥هـ– ١٩٨٥م.

٦. أعلام المكان في القرآن الكريم– دراسة دلالية: يوسف أحمد علي أبو ريدة، رسالة ماجستير، جامعة الخليل، الخليل– فلسطين، ٢٠٠٨م.

٧. الإيضاح في علوم البلاغة، الخطيب القزويني، راجعه وصحّحه وخرّج آياته: الشيخ بهيج غزاوي، دار إحياء العلوم، بيروت، لبنان، ط٢، ١٩٩٣م.

٨. البحر المحيط في التفسير: أثير الدين أبو حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف الأندلسي، تحقيق: صدقي محمد جميل، دار الفكر، بيروت، لبنان، ١٤٢٠هـ–٢٠٠٠م.

٩. بدائع الفوائد: ابن قيّم الجوزية، عُنيَ بتصحيحه والتعليق عليه ومقابلة أصوله للمرة الأولى: إدارة الطباعة المنيرية بمصر، (د.ت).

١٠. البرهان في علوم القرآن: بدر الدين الزركشي، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعرفة، بيروت، لبنان، ط٢، ١٩٧٢م.
١١. بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز : مجد الدين الفيروزآبادى ،تحقيق: محمد علي النجار، لجنة إحياء التراث الإسلامي، القاهرة،١٩٩٦م
١٢. البلاغة والأسلوبية: محمد عبد المطلب، الهيئة المصرية العامة للكتاب، (د.ط)، ١٩٨٤م.
١٣. البيان والتبيين: أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط٧، ١٩٩٨م.
١٤. تاج العروس من جواهر القاموس:محب الدين مرتضى الزبيدي،دار صادر بيروت ١٩٦٦م٠
١٥. تحفة الأديب بما في القرآن من غريب: أبو حيان الأندلسي، تحقيق: أحمد مطلوب وخديجة الحديثي، مطبعة العاني، بغداد- العراق، ط١، ١٩٧٧م.
١٦. تفسير القرآن العظيم- تفسير ابن كثير: أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير، تحقيق: محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية، منشورات محمد علي بيضون، بيروت، لبنان، ١٤١٩هـ-١٩٨٩م.
١٧. تهذيب اللغة : محمد بن أحمد بن الأزهري الهروي، تحقيق: محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي – بيروت،ط١، ٢٠٠١م
١٨. جامع البيان عن تأويل آي القرآن- تفسير الطبري: محمد بن جرير الطبري، تحقيق: محمود محمد شاكر، دار المعارف، القاهرة- مصر، (د. ت).
١٩. الجامع لأحكام القرآن- تفسير القرطبي: محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي الأندلسي، تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ٢٠٠٦م.
٢٠. جدل اللفظ والمعنى- دراسة في دلالة الكلمة العربية: مهدي أسعد عرار، دار وائل، عمّان، ط١، ٢٠٠٢م.
٢١. جمهرة اللغة: ابن دريد، تحقيق: رمزي منير بعلبكي، دار العلم للملايين، بيروت، ط١، ١٩٨٧م.
٢٢. الخصائص: أبو الفتح عثمان ابن جني، تحقيق: الهيأة المصرية العامة للكتاب، ط٤، (د.ت).
٢٣. دلالة السياق اللغوي في سورة يوسف- دراسة في تفسير الميزان: إياد محمد علي، مجلة الأستاذ، بغداد، العدد ٢٠٢، ٢٠١٢م.
٢٤. دلائل الإعجاز: عبد القاهر الجرجاني، تحقيق: عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط١، ٢٠٠١م.
٢٥. دور الكلمة في اللغة: ستيفن أولمان، ترجمه وقدّم له وعلّق عليه: د. كمال محمد بشر، دار الطباعة القومية، (د.ط)، ١٩٦٢م.
٢٦. الرسالة: الشافعي، دراسة وتحقيق: أحمد شاكر، مكتبة الحلبي، مصر، ط١، ١٩٤٠م.
٢٧. السياق التداولي في كليلة ودمنة لابن المقفع (رسالة ماجستير)، حبي حكيمة، جامعة مولود معمري، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، (د.ت).
٢٨. الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية: أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري ،تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين – بيروت،ط٤ ،١٤٠٧ هـ – ١٩٨٧ م
٢٩. الصواعق المرسلة على الجهمية والمُعطّلة: ابن قَيّم الجوزية، تحقيق: د. علي بن محمد الدخيل الله، دار العاصمة، الرياض، المملكة العربية السعودية، ط٣، ١٩٩٨م.
٣٠. العقد الفريد: ابن عبد ربّه الأندلسي، دار الكتب العمية، بيروت، ط١، ١٤٠٠هـ.
٣١. علم الدلالة: أحمد مختار عمر، مكتبة دار العروبة للنشر والتوزيع، الكويت، ط١، ١٩٨٢م.
٣٢. غريب الحديث: لابن قتيبة الدينوري ،تحقق: د. عبد الله الجبوري، مطبعة العاني – بغداد،ط١، ١٣٩٧
٣٣. القاموس المحيط: مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز آبادي، دار الكتب العلمية. بيروت-لبنان، ط١، ١٩٩٥م.
٣٤. الكتاب: سيبويه، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط٣، ١٩٨٨م.
٣٥. الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيوب الأقاويل في وجوه التأويل: جار الله الزمخشري، تحقيق: محمد عبد السلام شاهين، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط٣، ٢٠٠٣م.
٣٦. لسان العرب: جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور، دار صادر، بيروت، لبنان، ط١، ١٩٩٧م.

٣٧. المحكم والمحيط الاعظم: أبو الحسن علي بن إسماعيل بن سيده المرسي، تحقيق: عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية –بيروت ، ط١، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠٠ م

٣٨. مختار الصحاح: محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي، مكتبة لبنان، بيروت، لبنان، ١٩٨٦م.

٣٩. المخصص: أبو الحسن علي بن سيده المرسي، تحقيق: خليل إبراهم جفال، دار إحياء التراث العربي – بيروت،ط١ ،١٤١٧هـ ١٩٩٦م

٤٠. معاني القرآن وإعرابه: إبراهيم بن محمد الزجاج، تحقيق: عبد الجليل شلبي، دار الحديث، القاهرة– مصر، ٢٠٠٤م.

٤١. معاني القرآن: أبو زكريا يحيى بن زياد الفراء، تحقيق: أحمد يوسق نجاتي ومحمد علي النجار، الهيئة المصرية للكتاب، القاهرة– مصر، ط٢، ١٩٨٠م.

٤٢. معجم البلدان: ياقوت الحموي، تحقيق: فريد الجندي، دار الكتب العلمية، بيروت– لبنان، (د. ت).

٤٣. معجم العين: الخليل بن أحمد الفراهيدي، تحقيق: عبد الحميد هنداوي، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ٢٠٠٣م.

٤٤. معجم اللغة العربية المعاصرة: أحمد مختار عمر وآخرون، عالم الكتب، بيروت، لبنان، ط١، ١٤٢٩هـ-٢٠٠٨م.

٤٥. المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم: محمد فؤاد عبد الباقي، دار الحديث، القاهرة، مصر، ١٩٨٨م.

٤٦. المعجم الوسيط: إبراهيم مصطفى وأحمد حسن الزيات وآخرون، مجمع اللغة العربية. القاهرة، مصر، ١٩٧٢م.

٤٧. معجم مقاييس اللغة: أحمد بن فارس بن زكريا القزويني الرازي، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، دمشق، ١٣٩٩هـ- ١٩٧٩م.

٤٨. المغرب في ترتيب المعرب: برهان الدين الخوارزمي المُطَرِّزِيّ، دار الكتاب العربي،(د. ط)، (د. ت).

٤٩. المفردات في غريب القرآن: أبو القاسم الحسن بن محمد الراغب الأصفهاني، راجعه وقدم له: وائل أحمد عبد الرحمن، المكتبة التوفيقية، القاهرة، مصر، ٢٠٠٣م.

٥٠. المفهوم العلمي للجبال في القرآن الكريم: زغلول النجار، مكتبة الشروق الدولية، القاهرة، مصر، ط١٠، ١٤٢٩هـ-٢٠٠٨م.

٥١. مناهج البحث في اللغة: تمّام حسّان، مكتبة الأنجلو المصرية، (د. ط)، (د. ت).

٥٢. الوجهة الاجتماعية في منهج سيبويه في كتابه: د. نهاد الموسى، مقالة نُشرت في جامعة شيراز، ١٣٥٣هـ.

الهوامش

(١) جمهرة اللغة: لابن دريد، ٨٥٣/٢.

(٢) معجم مقاييس اللغة: لابن فارس، ١١٧/٣.

(٣) يُنظر: أساس البلاغة: للزمخشري ٤٨٤/١.

(٤) لسان العرب: لابن منظور، ١٦٦/١٠.

(٥) دور الكلمة في اللغة: ستيفن أولمان، ص٥٠.

(٦) نقلًا عن: السياق التداولي في كليلة ودمنة لابن المقفع (رسالة ماجستير)، حبي حكيمة، جامعة مولود معمري، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، (د.ت)، ص١٨.

(٧) دلالة السياق اللغوي في سورة يوسف– دراسة في تفسير الميزان: إياد محمد علي، مجلة الأستاذ، بغداد، العدد ٢٠٢، ٢٠١٢م، ص٥١.

(٨) يُنظر: مناهج البحث في اللغة: تمّام حسّان، ص٢٦٢.

(٩) علم الدلالة: أحمد مختار عمر ،ص٦٨-٦٩.

(١٠) دور الكلمة في اللغة: ص٥٤.

(١١) دور الكلمة في اللغة : ص٥٠-٥١.

(١٢) جدل اللفظ والمعنى– دراسة في دلالة الكلمة العربية: مهدي أسعد عرار، ص٤٣.

(١٣) دور الكلمة في اللغة: ص٥٥.

(١٤) ينظر:البرهان في علوم القرآن: بدر الدين الزركشي، ٢٩٢/١.

[١٥] بدائع الفوائد: ابن قيّم الجوزية، ٤/٩-١٠.

[١٦] الصواعق المرسلة على الجهمية والمُعطّلة: ابن قَيّم الجوزية، ١/١٨٨-١٨٩.

[١٧] البرهان في علوم القرآن: ١٧٢/٢. والمقصود بكلامه هو الراغب الأصفهاني وكتابه (المفردات في غريب القرآن).

[١٨]() يُنظر: الرسالة: للشافعي، ص٦٢.

[١٩] المصدر نفسه: ص٥٠.

[٢٠] يُنظر على سبيل المثال: (هذا باب ما جرى من الأسماء الّتي لم تُؤخذ من الفعل مَجرى الأسماء الّتي أُخِذَت من الفعل، وذلك قولك: أتميميًّا مرَّةً وقيسيًّا أخرى...). الكتاب: سيبويه، ٣٤٣/١. ويُنظر أيضًا: الوجهة الاجتماعية في منهج سيبويه في كتابه: د. نهاد الموسى، مقالة نُشرت في جامعة شيراز، ١٣٥٣هـ، ٣١٦.

[٢١] الكتاب: ٥٥/١.

[٢٢] الأضداد في اللغة: محمد بن القاسم الأنباري، ص٢.

[٢٣] البيت لنعيم أبي محلّم السعدي، يُنظر: العقد الفريد: ابن عبد ربّه الأندلسي، ٩٩/١.

[٢٤] الخصائص: لابن جني، ٢٤٦/١.

[٢٥] يُنظر: الإيضاح في علوم البلاغة، الخطيب القزويني، ص١٣.

[٢٦] البيان والتبيين: للجاحظ، ١٣١/١.

[٢٧] أدب الكاتب: ابن قتيبة، ص١٤.

[٢٨] يُنظر: المصدر نفسه: ١٥-١٦.

[٢٩] دلائل الإعجاز: عبد القاهر الجرجاني، ، ص٥٩٣.

[٣٠] يُنظر: المصدر نفسه: ص٤٦.

[٣١] يُنظر: البلاغة والأسلوبية: محمد عبد المطلب، ص٢٤١-٢٤٢.

[٣٢] يُنظر: أسرار البلاغة: عبد القاهر الجرجاني، ص٤٢٢.

[٣٣] يُنظر: دلائل الإعجاز: ص٩٩، ١٠٥، ٣٩٣. وأسرار البلاغة: ص٤، ٥، ١٤، ٥٩، ٢٠٢.

[٣٤] معجم مقاييس اللغة: ٥٠٢/١، ولسان العرب: ٧٠/٣.

[٣٥] المفهوم العلمي للجبال في القرآن الكريم: زغلول النجار، ص٢٦.

[٣٦] المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم: محمد فؤاد عبد الباقي، ص١٦٣-١٦٤.

[٣٧] ينظر:المعجم الوسيط: إبراهيم مصطفى وأحمد حسن الزيات وآخرون ص٦٢٤.

[٣٨] المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم: ص٤٨٠.

[٣٩] معجم العين: للفراهيدي، ٥٥/٨. ولسان العرب: ٤٤٤/٣.

[٤٠] معجم مقاييس اللغة: ٥٠٢/١. ولسان العرب: ٧٠/٣.

[٤١] القاموس المحيط: الفيروز آبادي، ٣٤٣/١.

[٤٢] المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم: ص٧٤١.

[٤٣] ينظر :تهذيب اللغة:للازهري،١٩٦/١٥،الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية:للجوهري،٢٣٥٠/٦

[٤٤] المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم: ص٣٠٠.

[٤٥] ينظر: إعراب القرآن: للنحاس، ٥٠/٤. وتحفة الأديب بما في القرآن من غريب: أبو حيان الأندلسي، ص١١٨.

[٤٦] ينظر: لسان العرب :٣٢١/١٤ ،والمعجم الوسيط: ص٣٤٥.

[٤٧] المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم: ص٣٢٠.

[٤٨]ينظر: معجم العين:٤٤٣/٧، والصحاح :٥٠٢/٢ ، لسان العرب: ٢٧٠/٣.

[٤٩] ينظر: لسان العرب:٢٧٠/٣ ،و تاج العروس :٨/ ٣٢٥، والمعجم الوسيط: ص٥٦٩.

(٥٠) المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم: ص٤٢٩.

(٥١) معجم العين: ١٣٦/٨

(٥٢) معاني القرآن: للفراء، ٢٧٦/٣،ومعجم مقاييس اللغة:٣٦١/١

(٥٣) أعلام المكان في القرآن الكريم– دراسة دلالية: يوسف أحمد علي أبو ريدة، رسالة ماجستير، جامعة الخليل، الخليل، فلسطين، ٢٠٠٨م، ص٩٧.

(٥٤) المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم: ص١٥٨.

(٥٥) ينظر: الصحاح:٤٦١/٢، و لسان العرب:١٣٨/٣، معجم البلدان: ياقوت الحموي، ٢٠٩/٢.

(٥٦) معاني القرآن: للفراء،١٦/٢.

(٥٧) المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم: ص١٨٦.

(٥٨) ينظر:معاني القرآن وإعرابه: للزجاج، ٢٢٠/٣،وتهذيب اللغة :١٢٢/٩

(٥٩) المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم: ص٣٢٤.

(٦٠) معاني القرآن: للفراء،٢٧٦/٣،ولسان العرب :٧٥/١٣

(٦١) المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم: ص٣٣٤.

(٦٢) تهذيب اللغة :١٧٥/١٢ ،. ومعجم البلدان: ٤١١/٣.

(٦٣) المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم: ص٤٠٩.

(٦٤) لسان العرب :١٥٢/٩،وتاج العروس:٢٣١/١٢

(٦٥)ينظر:غريب الحديث:لابن قتيبة، ٣٤٢/٢،ولسان العرب:٥٠٨/٤

(٦٦) المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم: ص٤٢٩.

(٦٧) ينظر: معجم العين :٣٦١/٨، وتهذيب اللغة :١٨٩/٢، معجم البلدان: ١١٨/٤.

(٦٨) المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم: ص٤٥٩.

(٦٩)ينظر:المغرب في ترتيب المعرب:للمطرزي:٤٤٠/١، ومعجم البلدان: ١١٨/٤.

(٧٠) المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم: ص٦٦٤.

(٧١) ينظر: لسان العرب :٢٨٠/٣.

(٧٢) ينظر: بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز: الفيروزآبادى:٧٢/٤ ،و المعجم الوسيط: ص٦٠٥.

(٧٣)ينظر: معجم مقاييس اللغة: ٥٠٢/١ ، المعجم الوسيط: ص١٠٥.

(٧٤) جامع البيان عن تأويل آي القرآن : للطبري ١٤/ ٥٩٧.

(٧٥) جامع البيان عن تأويل آي القرآن– تفسير الطبري: ١٤/ ٥٩٢.

(٧٦)ينظر: المخصص:لابن سيده ،٣٨٨/٤ ،و المعجم الوسيط: ص٩٢٤.

(٧٧) لسان العرب: ٧٦٠/١.

(٧٨) معجم مقاييس اللغة: ٢١٢/٣؛ المعجم الوسيط: ص٤٩٣.

(٧٩) لسان العرب: ٣٠/٣.

(٨٠) معجم العين: ١٧٤/٤.

(٨١)ينظر: لسان العرب: ٢٢٩/٦.

(٨٢) تفسير القرآن العظيم: ابن كثير١٤٦/٣.

(٨٣) ينظر لسان العرب :٢٣٥/٤ ، المعجم الوسيط: ص٢٢٥، ٩٧٦.

(٨٤) ينظر :معجم العين :٣٤٧/٣ ،وجمهرة اللغة: ١١٥/١

([٨٥]) يُنظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن: الطبري: ٣/٣٠، والجامع لأحكام القرآن : للقرطبي: ١٧١/١٩، والبحر المحيط في التفسير: لأبي حيان الأندلسي، ٣٨٤/١٠.

([٨٦]) يُنظر: الكشاف: الزمخشري، ١٣٢١/٤.

([٨٧]) يُنظر: المفردات في غريب القرآن: للأصفهاني، ص٤٧٩.

([٨٨]) يُنظر: المفهوم العلمي للجبال في القرآن الكريم: ص٣٨.

([٨٩]) يُنظر: مختار الصحاح: للرازي، ص٣٢٩.

([٩٠]) لسان العرب: ٢٥٦/١٥.

([٩١]) ينظر: معجم مقاييس اللغة :٢٦٩/٥ ،والمحكم والمحيط الاعظم :لابن سيده ،٢٨٧/٩ .

([٩٢]) ينظر: المخصص :٤/ ٣١١ ،ومعجم اللغة العربية المعاصرة: أحمد مختار عمر وآخرون، ص١٧٩٤.

([٩٣]) ينظر: معجم العين: ٨٩/٨. ومعجم مقاييس اللغة: ٢٨٨/٥.و لسان العرب: ٤١١/٣-٤١٢

([٩٤]) يُنظر: المفهوم العلمي للجبال في القرآن الكريم: ص٤٣.

([٩٥]) يُنظر: معجم العين: ١٠/٦.

([٩٦]) يُنظر: لسان العرب: ١٠٨/٣.

([٩٧]) يُنظر: معجم مقاييس اللغة: ٤٢٢/٤.

([٩٨]) المفهوم العلمي للجبال في القرآن الكريم: ص٤٢.

([٩٩]) معاني القران:للفراء،١٥٢/١ ،وتهذيب اللغة:٣٣٤/٩، المعجم الوسيط: ص٨٠١.

([١٠٠]) معجم اللغة العربية المعاصرة: ص٢١٧٦.

([١٠١]) ورد ذكر الطور، وطور سيناء، وطور سينين في سُوَرِ: البقرة: ٦٣ و٩٣، والنساء: ١٥٤، ومريم: ٥٢، وطه: ٨٠، والقصص: ٢٩ و٤٦، والمؤمنون: ٢٠، والطور: ١، والتين: ٢.

([١٠٢]) ينظر: بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز : ٥١٨/٣ ،وتاج العروس : ٣٢٥/٨.

([١٠٣]) يَرِدُ ذلك في سُوَرِ: الحاقة: ١٤، والمزمل: ١٤، والطور: ١٠، والواقعة: ٥، والمعارج: ٩، والمرسلات:١٠، والنبأ: ٢٠، والتكوير: ٣، والقارعة: ٥.